التعليم عن بعد

علم اجتماع (المستوى الثامن)

الثقافة والعولمة

د/ زين العابدين مخلوف

هذه النسخة مخصصه لـ (مكتبة صدى الحروف بالسويدي)
يُمنع ولا يحلل ولا يباح حذف حقوق « مكتبة صدى الحروف »

تباع الملزمة في مكتبة صدى الحروف «بالسويدي» تويتر : @sda7rf
ولتوصيل : ت / ٠١١٢٢٢٢٥٧٣، ٠١١٤٢٦٧٢٦٢
جـ / ٠٥٥٦٠٩١٨١٩، واتس / ٠٥٥٢١١٤٤٦٧

تـنـسـيق : أبو فيصل KFU
ناوي الرحيل (سابقاً)

المحاضرة الأولى : الثقافة وإشكالية التعريف والنشأة

❖ مقدمة :

- إن قدرة الإنسان على « إنتاج الثقافة » هي أهم خاصية تميزه عن باقي المخلوقات . ولكل مجتمع ثقافته الخاصة التي يتسم بها ويعيش فيها ، كما إن لكل ثقافة مميزاتها وخصائصها ومقوماتها المادية التي تتألف من طرق المعيشة والأدوات التي يستخدمها أفراد المجتمع في قضاء حوائجهم ، والأساليب التي يضعونها لاستخدام هذه الأدوات . فأدوات الصيد والزراعة والقتال أدوات ثقافية ، والأزياء وأسلوب الترفيه أيضا أشكال ثقافية .
- وللثقافة أيضا : « مقوماتها المعنوية والتي تتمثل في : مجموع العادات والتقاليد التي تسود المجتمع والتي يتوارثها أفراده جيلا بعد جيل ، مثل القانون أو العرف الذي يحكمهم أو القيم والقواعد الأخلاقية التي تحدد طبيعة العلاقات بين بعضهم البعض .

أولاً : الثقافة الكلمة والمفهوم :

- لم تشهد كلمة ازدهاراً وانتشارا ككلمة « الثقافة » ، وليس هناك مفهوم أكثر تداولا واستخداما كمفهوم « الثقافة » ، ومع ذلك يبقي الغموض والالتباس متلازمين كلما طرح الموضوع للنقاش .
- وقد أحصي عالما الانثروبولوجيا الأمريكيان « كروبير وكلوكهون » ما لا يقل عن مائة وستين تعريفا للثقافة قاما بفرزها على سبعة أصناف : « وصفية وتاريخية وتقييمية وسيكولوجية وبنيوية وتكوينية وجزئية غير كاملة » .
- وقد اكتسبت كلمة « الثقافة » معناها الفكري في أوربا في النصف الثاني من القرن الثامن عشر .
- فالكلمة الفرنسية كانت تعني في القرون الوسطي " الطقوس الدينية " لكنها في القرن السابع عشر كانت تعبر عن " فلاحة الأرض" . ومع القرن الثامن عشر اتخذت منحي يعبر عن التكوين الفكري عموماً وعن التقدم الفكري للشخص بخاصة .
- ولكن انتقال الكلمة إلى الألمانية في النصف الثاني من القرن الثامن عشر أكسبها لأول مرة مضموناً جماعياً ، فقد أصبحت تدل بخاصة على التقدم الفكري الذي يتحصل عليه الشخص أو المجموعات أو الإنسانية بصفة عامة . أما الجانب المادي في حياة الأشخاص والمجتمعات فقد أفردت لها الألمانية كلمة " حضارة " .
- وإذا كانت كلمة « الثقافة » قد مرت بهذه التطورات فأن كلمة « مثقف » هي ترجمة للكلمة الفرنسية "Intellect" ومعناها العقل أو الفكر وبالتالي فهي تدل عندما تستعمل وصفا لشيء على انتماء أو ارتباط هذا الشيء بالعقل أو بالروح .

❖ تعريف الثقافة :

- لاشك في أن أقدم التعريفات لمفهوم الثقافة وأكثرها ذيوعاً هو تعريف « الانثروبولوجي الانجليزي ادوارد تايلور » والذي قدمه في كتابه " الثقافة البدائية " عام ١٨٧١م والذي يذهب فيه إلى التعريف التالي :
  - « الثقافة هي كل مركب يشتمل على المعارف والمعتقدات والفن والقانون والأخلاق والتقاليد وكل القابليات والعادات الأخرى التي يكتسبها الإنسان كعضو في مجتمع » .
- ولعل أبسط التعريفات وأحدثها تعريف « روبرت بيرستد » الذي ظهر في أوائل الستينات من القرن العشرين والذي يعتبر الثقافة هي :
  - « ذلك الكل المركب الذي يتألف من كل ما نفكر فيه أو نقوم بعمله أو نتملكه كأعضاء في مجتمع » .

- إلا إن تعريف « روشيه » أكثر شمولاً وعمقاً ويقدمه على الشكل التالي :

– « الثقافة هي مجموعة من العناصر لها علاقة بطرق التفكير والشعور والفعل ، وهي طرق صيغت تقريبا في قواعد واضحة والتي أكتسبها وتعلمها وشارك فيها جمع من الأشخاص – تستخدم بصورة موضوعية ورمزية في آن واحد من أجل تكوين هؤلاء الأشخاص في جماعة خاصة ومميزة » .

- ويتميز تعريف « كروبير وكلوكهون » بأبعاد جديدة فهو يعتبر الثقافة تتكون من : نماذج ظاهرة وكامنة من السلوك المكتسب والمنتقل بواسطة الرموز ، والتي تكون الانجاز المميز للجماعات الإنسانية ، والذي يظهر في شكل مصنوعات ومنتجات ، أما قلب الثقافة فيتكون من الأفكار التقليدية وبخاصة ما كان متصلا منها بالقيم . ويمكن أن نعد الأنساق الثقافية نتاجا للفعل من ناحية ،كما يمكن النظر بوصفها عوامل شرطية محددة لفعل مقبل .

ثانيا : ثنائية الحضارة والثقافة :

- استقطبت هذه الثنائية كتابات كثيرة ، وقد احتلت فرنسا وألمانيا صفوفها الأمامية غير أن تلك الكتابات التي دارت حول الثقافة والحضارة آلت إلى تشتت الأفكار في الغرب خلال الثلاثين سنة الأولي من القرن العشرين ، بقي خلالها الاستخدام الفرنسي لكلمة حضارة " Civilization " يشمل مختلف أنواع التقدم ، فكرية كانت أم مادية ، مقابل النزعة الألمانية التي نحت نحو التمييز بين الثقافة بمعناها الروحي والفكري والعلمي وبين الحضارة بمعناها المادي .
- على العموم لم يعر علماء الانثروبولوجيا والاجتماع أي اهتمام لهذا التمييز الذي بدأ لهم تمييزا وهمياً .
- إن الغالبية العظمى من علماء الانثروبولوجيا والاجتماع تتجنب استعمال مصطلح حضارة أو تستخدم مصطلح ثقافة بمعني حضارة ، وتعتبر الاثنين من الممكن أن تحل احدهما محل الأخرى .

➢ **ومع ذلك قد نجد عند بعض علماء الاجتماع والانثروبولوجيا المعاصرين التمييز التالي :**

– فبعضهم يستخدم مصطلح « حضارة » لكي يشير إلى مجموعة من الثقافات الخاصة التي بينها تشابه أو أصول مشتركة ، وبهذا المعني يتحدث البعض عن الحضارة الغربية التي تنضوي تحتها الثقافات الفرنسية والانجليزية والألمانية والايطالية والأمريكية الخ...

– أما البعض الأخر فيستخدم مصطلح « حضارة » للدلالة على المجتمعات التي بلغت درجة عالية من التطور وتتصف بالتقدم العلمي والتقني والتنظيم المدني والتعقيد في التنظيم الاجتماعي

- في كل الأحوال ورغم محاولة مفكري القرن التاسع عشر الألمان وضع تفرقة صارمة بين الحضارة والثقافة ، من خلال التأكيد على إن الحضارة تشمل العوامل المادية والتقنية والثقافة تحتوي على القيم والمثاليات والخصائص العقلية والفنية الأخلاقية العليا للمجتمع إلا إن هذه التفرقة لم تحظ بالقبول في أماكن أخرى من العالم .

ثالثاً : أصل الثقافة ونشأتها :

- البحث في أصل الثقافة كخاصية مميزة للجنس البشري يقتضي دراسة وافية لعلم السلالات البشرية المقارن والانثروبولوجيا وعلم العادات .
- إن الرأي السائد حتى الآن عند علماء الانثروبولوجيا والاجتماع يؤكد بأن « الكائنات الإنسانية هي الوحيدة بين المخلوقات جميعها القادرة على خلق ثقافة » .

- وعلى الرغم من محاولة بعض الباحثين الكشف عن جذور ثقافة في عالم الحيوان الأقل شأنا من ثقافة الإنسان ، فان هذه المحاولات كان يرد عليها دائما بأنه لم توجد جماعة حيوانية تملك " لغة شفوية " على الرغم من أن العديد من الحيوانات تمارس حياة اجتماعية كجماعات النحل والنمل ، غير إن هذا الشكل من التنظيم لا يقوم على ثقافة بل يقوم على الغريزة .
- يرى « لنتون » أن : مجمل سلوك الفرد يتكون من ثلاثة عناصر هي :
  - « سلوك غريزي في الفرد » ، « وسلوك هو حصيلة خبرته » ، « وسلوك تعلمه من أفراد آخرين » .
- وذهب الكثيرون إلى أن السلوك الإنساني مدين بمعظمه إلى ثالث هذه العناصر وأن السلوك الحيواني مبني بالدرجة الأولي على العنصرين الأولين .
- إن « اللغة أو الاتصال الرمزي » من أهم عناصر الثقافة ، والثقافة بدون لغة هي ضرب من المحال .
- وكلما صارت الثقافة أكثر تعقيداً ازدادت الحاجة إلى الاتصال ، لذلك فان القدرة على التفكير الرمزي والمجرد هو ما تحتاج إليه اللغة . فاللغة والقدرة على الاتصال بها تعتبران شرطاً أساسياً وضرورياً لأي مجتمع إنساني ولا يمكن تصور ثقافة بدونه .

المحاضرة الثانية : مفاهيم أساسية مرتبطة بمفهوم الثقافة

❖ مفاهيم أساسية مرتبطة بالثقافة :

- توجد مجموعة من المفاهيم الأساسية المرتبطة بمفهوم الثقافة ، وسوف نشير – بإيجاز – إلى بعض من هذه المفاهيم :

السمات الثقافية :	• هي أبسط العناصر الثقافية التي تبدو في النواحي المادية أو المعنوية ، فالمسمار أو القلم أو طريقة الملبس تعد سمات ثقافية .
النمط الثقافي :	• هو مجموعة من السمات أو العناصر التي تعمل ككل بالنسبة لموقف معين ، فدائرة الأفعال التي يقوم بها الفلاحون في الزراعة وطرقهم في الحصاد وتخزين المحصول وطرق إعداد الطعام الخ...كل هذا يمثل نمطا ثقافياً .
التراكم الثقافي :	• أي عملية نمو الثقافة جيلا بعد جيل بفضل ما يضيفه الأجيال اللاحقة من عناصر جديدة تتكون وتتراكم على أساسها الثقافة .
المركب الثقافي :	• إن العناصر الفرعية للثقافة تتكون بدورها من روابط متشابكة وعندما تركز الصلات بين العناصر الفرعية للثقافة على سمة ثقافية بعينها يطلق عليها عندئذ المركب الثقافي . فهناك على سبيل المثال " مركب الحصان " وحوله تتجمع ممارسات تتصل بالركوب وصناعة عدة الحصان والحرب والزراعة وصناعة المركبات والنقل بالعربات .
التلاقح الثقافي :	• وقد يطلق عليه مصطلح الاتصال الثقافي أو" التثاقف " وهو يشير إلى التأثير المتبادل بين الثقافات ، أو بمعنى أخر إلى التغير الثقافي الذي يتم في ظروف خاصة يحدث فيها اتصال شديد بين ثقافتين أو أكثر متناقضتين تناقضا ملحوظاً . كما يتضمن تغيراً واسع النطاق وسريع نسبياً في أي من الثقافتين أو كلتيهما .
الغزو الثقافي :	• كما في حالات الاستعمار لإيجاد الرغبة في التأليف مع الثقافة الخارجية ويتم الغزو الثقافي اليوم عن طريق محاولة فرض التبعية الثقافية ومن خلال وسائل الإعلام ومواقع الانترنت وغيرها .
التمثل الثقافي :	• يشير إلى العملية التي عن طريقها تحاول الجماعات ذات أنماط السلوك المختلفة أن تندمج مع بعضها البعض في وحدة اجتماعية وثقافية مشتركة . أي إن هذه العملية تؤدي إلى اندماج أو انصهار ثقافتين أو أكثر في وحدة ثقافية متجانسة . ومن أشهر عمليات التمثيل الثقافي ، تلك العملية التي حدثت للمهاجرين من مختلف دول العالم واستيطانهم للولايات المتحدة الأمريكية ، فقد ترتب على ذلك تفاعل واندماج عدة ثقافات أوربية قديمة وظهور ثقافة واحدة مشتركة لهؤلاء وهي الثقافة الأمريكية العامة .
الانتشار الثقافي :	• يشير إلى عملية انتقال السمات الثقافية من ثقافة إلى أخرى . ولانتشار الثقافة لابد من توافر عدة عناصر ، منها وجود بعض السمات أو العناصر الثقافية التي تستحق أن تنتشر ، ومنها ضرورة وجود مجتمع يتقبل هذه السمات ، بالإضافة إلى ضرورة وجود طريقة أو وسيلة تستعمل كأداة للنشر كالتلفاز أو الإذاعة أو الكتب والأشخاص الذين ينتقلون بين الثقافات المختلفة الخ....

الهوة الثقافية :	• أو التخلف الثقافي وهو يحث نتيجة تغير بعض جوانب الثقافة بمعدلات أسرع من تغير الجوانب الأخرى ، فيحدث هوة أو تخلف لبعض العناصر الثقافية نتيجة عدم توازن عمليات تغير الثقافة . وذلك مثلا كما يحدث بالنسبة لسبق التنمية الاقتصادية مع تخلف التنمية الاجتماعية . وقد ورد مفهوم الهوة الثقافية في كتاب " التغير الاجتماعي" للعالم الأمريكي " وليم أوجبرن" الذي نشره عام ١٩٢٢م .
النسبية الثقافية :	• أي منافسة الأشياء بالنسبة لثقافات المناطق المختلفة ، أي في حدود الثقافة الخاصة بكل منطقة .
الثقافة الفرعية :	• ويقصد بها أن هناك جماعة من الناس يشتركون في أنماط متميزة من القيم والمعتقدات ، وتتميز طريقة حياتهم عن الثقافة الكلية التي تسود المجتمع الأكبر في بعض الأنماط الثقافية الخاصة بهم . وبمعني أخر فان الثقافة الفرعية بمثابة نمط من السلوك تتميز به الجماعات الخاصة التي تعيش داخل المجتمع الأكبر ، وقد يختلف سلوك أفراد تلك الجماعات عن سلوك أفراد المجتمع الكلي ، ولكن في نفس الوقت تتضمن ثقافتهم الفرعية على عناصر تشترك فيها مع الثقافة الكلية كما تحتفظ لنفسها بعناصر أخرى تميزها عن غيرها من الثقافات .
الحضارة :	• تشير إلى نوع متقدم من المجتمعات التي تتميز بدرجة متقدمة من الفنون والعلوم والتنظيمات الاجتماعية . وقد مال بعض الكتاب إلى إطلاق لفظ "حضارة" على الأجهزة الفنية للمجتمع مثل العلم والتكنولوجيا والإمكانيات المادية. أما لفظ "ثقافة" فتعني المحصلة النهائية للتراث الإنساني والاجتماعي سواء كان هذا التراث ماديا أو غير ماديا .

المحاضرة الثالثة : المقاربة الأنثروبولوجية للثقافة

❖ مقدمة :

- من أشهر التعريفات الأنثروبولوجية للثقافة وأكثرها ذيوعاً لقيمتها التاريخية تعريف الانجليزي « ادوارد تايلور » ، وبالفعل سيطر تعريفه على عقول علماء الأنثروبولوجيا لعقود عديدة ، وقد تبنى عالما الأنثروبولوجيا الأمريكيان « كروبر وكلوكهون » التعريف الذي يقول : « بأن الثقافة تجريد » ، ووافقهم على هذا التعريف « بيلز و هويجر » اللذان أضافا : « بأن الثقافة هي تجريد مأخوذ من السلوك الإنساني الملاحظ حسياً » .

أولاً : تعريفات متعددة لظاهرة واحدة :

- يمكن القول بأن تعريفات الثقافة كانت تتطور تبعاً لتطور الاتجاهات والمناهج والمقاربات المختلفة .
- ومع ذلك يمكن رصد اتجاهين تتدرج في إطارهما مختلف التعريفات :

الأول / اتجاه واقعي :	• يرى أن الثقافة ككل يتكون من أشكال السلوك المكتسب الخاص بمجتمع أو بجماعة معينة من البشر .
الثاني / اتجاه تجريدي :	• يرى الثقافة مجموعة أفكار يجردها العالم من ملاحظته للواقع المحسوس الذي يشتمل على أشكال السلوك المكتسب الخاص بمجتمع أو بجماعة معينة .

- قام « هوايت » بتجميع وتصنيف « الأنساق الثقافية في ثلاثة قطاعات كبرى » تتكون منها الثقافة ومن خلال هذا التقسيم يتم تحديد مواقع العناصر الثقافية ، وهذه القطاعات هي :

١) الأفكار والعقائد والاتجاهات الموجودة في عقول الأفراد .

٢) الأشياء المادية والمحسوسة التي يعطيها الإنسان معني محددا.

٣) العلاقات وخطوط التفاعل والاتصال بين البشر بعضهم ببعض وبين البشر والأشياء .

- إلا أن هناك تصنيف أخر يعتمد محاور الاهتمام أساسا له ويمكن تلخيصه في أربعة اتجاهات :

الأول :	• يقدم مقاربته من زاوية « التاريخ الثقافي » ، وهو اتجاه رسمه « بواز » ، أهتم بخصوصية كل ثقافة وحاول إيجاد صلات تاريخية جغرافية بين الثقافات .
الثاني :	• يقوم بمقاربة الثقافة من خلال « علاقتها بالشخصية » ، وهو اتجاه رسمه « سابير » ويتصل بهذا الاتجاه على وجه العموم " الثقافوية " كأعمال روث بنديكت ومارجريت ميد .
الثالث :	• يعمد إلى مقاربة الثقافة بـ « الرجوع إلى نظريات الاتصال الحديثة » منطلقا أساسا من النموذج اللساني ويوجد أحسن تعبير عنه في أعمال « كلود ليفي شتراوس » .
الرابع :	• استند إلى « التحليل الوظيفي » في مقاربة الثقافة والذي برز على يدي رائده « مالينوفسكي » ، وهذا التحليل يسمح بتحديد العلاقة بين العمل الثقافي والحاجة عند الإنسان سواء كانت هذه الحاجة أولية أو فرعية .

- **الخلاصة :** يمكن القول إن مختلف التعاريف الأنثروبولوجية حافظت على المقابلة بين الطبيعي والثقافي تدعمها المقارنات التي كانت رائجة بين الحيواني والإنساني وبين ما هو بيولوجي أو فطري وبين ما هو مكتسب في الوجود الإنساني .

ثانيا : محاولات واتجاهات ومدارس :

- كان ولا يزال الوصول إلى الأسباب التي يقوم على أساسها التباين بين الثقافات القضية الفكرية الأساسية التي استقطبت الاهتمام والكثير من الجدل والنقاش وقد تبلورت في اتجاهات ونظريات عديدة وقد ظهرت خلال القرن الماضي وتحديداً في نصفه الأول ثلاثة اتجاهات رئيسية تفاعلت مع بعضها وهي :

الاتجاه الأول : التاريخي التخصيصي :	• نشأ في إطار الدراسة النظرية للتاريخ الحضاري للإنسانية . وهو عبر عن استمرار الاهتمام باستخدام التاريخ لتفسير ظاهرة التباين الثقافي للمجتمعات الإنسانية ، وتأثر هذا الاتجاه بالمدرسة الجغرافية الألمانية ورائدها « فردريك راتزل » .
الاتجاه الثاني : البنائي الوظيفي :	• فقد نشأ في الوقت الذي ظهرت فيه نظرية الانتشار الثقافي في أوربا وأمريكا كرد فعل عنيف إزاء النزعة التطورية . واتصف هذا الاتجاه بأنه لا تطوري ولا تاريخي إذ ركز على دراسة الثقافات كلا على حدي في واقعها وزمنها الحالي . فالوظيفية إذن دراسة آنية ترفض المنهج التاريخي . ولقد تبلور هذا الاتجاه عن طريق الأفكار والكتابات التي طرحها كل من العالمين البريطانيين « مالينوفسكي وراد كليف براون » وهو اتجاه استفاد من المماثلة بين المجتمعات الإنسانية والكائنات البشرية .
الاتجاه الثالث : التاريخي النفسي :	• فهو تأثر بما كان يجري في ميدان علم النفس وبخاصة على أيدي « فرويد » وتلاميذه حيث رأي هؤلاء إمكانية فهم الثقافة عن طريق التاريخ إلى جانب الاستعانة ببعض مفاهيم علم النفس وطرق تحليله .

ثالثاً : الأنثروبولوجيا الجديدة :

- ظهر اتجاهين رئيسيين هما : « التطورية الجديدة ، وظاهرة التثاقف » .
- ومن رواد هذا الاتجاه التثاقفي « ميلفن هرسكوفيتز ورالف لينتون وروبرت ردفيلد ومارجريت ميد » .
- ولقد نشأ ما يعرف بـ « الانثروبولوجيا التطبيقية » خلال العقود التالية للحرب العالمية الثانية .
- في المقابل نشأ « الاتجاه المعرفي في دراسة الثقافة » والذي يبحث فيما يتصوره الناس في طريقة تفكيرهم وأسلوب إدراكهم للأشياء والمبادئ التي تكمن وراء هذا التفكير والتصور . وقد تبلور هذا الاتجاه الأخير مع بداية الستينات في مدرستين رئيسيتين « إحداهما ظهرت في فرنسا وعرفت بالبنائية » والأخرى « في أمريكا وعرفت باسم الأثنوغرافيا الجديدة » .

- **وخلاصة القول :**
  - فان اثنولوجيا النصف الثاني من القرن العشرين شابها الكثير من التضارب « وافتقدت إلى الاستقرار الأكاديمي » الذي عرقل توصلها إلى نظريات علمية على الرغم من النقاش الموسع حول النواحي المنهجية مما دفع البعض إلى التساؤل عن مدي أهمية هذا النزاع المنهجي الذي يدور حول الكيفية التي تدرس بها الثقافات الإنسانية وصلة ذلك بقضايا الإنسان المعاصر .
  - بقي أن نشير إلى ان الدراسات التي يقوم بها الأنثروبولوجيين قد تنطلق من هذا الاتجاه أو ذاك لكنها في غالبيتها تحاول الجمع والاستفادة منها كلها .

المحاضرة الرابعة : المقاربة السوسيولوجية للثقافة

❖ مقدمة :

- لا تنفصل هذه المقاربة عما تعرضنا له في السياق الأنثروبولوجي للثقافة ، وان كانت تعبر عن خصوصية آخذة في التبلور والوضوح على الصعيد النظري والتطبيقي .
- إن الثقافة كمفهوم سوسيولوجي تشمل كل ما في البعد الأدبي والتراثي والمسرحي والفني ، كما تشمل البعد الأنثروبولوجي الذي يطال الأدب والفن كما يطال حقل التعابير التي نطلق عليها عادة صفة اجتماعية والتي تميز جماعة بشرية معينة ، كالتقاليد والعادات والاحتفالات على أنواعها ومسالك التعبير وتقاليد الطبخ وأشكال اللباس فضلا عن التصورات والأساطير والمعتقدات.
- وقد قام العديد من السوسيولوجيين قبل ذلك بتفتيت الكليات الكبرى للثقافة إلى وحدات أطلق عليها السمات الثقافية ، فأسلوب تبادل التحية بين الأفراد وسلوكيات الفرح أو الحزن بأبعادها وسماتها المادية واللامادية على سبيل المثال هي الطريقة التي يمكن من خلالها تحليل الثقافة السائدة في مجتمع ما .

أولاً : التأصيل بين النمط والنظام :

- يوجد داخل الأنماط الثقافية بعض التشابهات وهذا ما يطلق عليه « الأنماط العامة للثقافة » .
- وكان بعض السوسيولوجيين ومن أبرزهم « رالف لنتون » يرى أن حاجات الفرد هي دوافع السلوك الأساسية ، ولذلك فهي الدوافع المسئولة عن تفاعل المجتمع والثقافة . وهو يوسع مفهوم الحاجات ليشمل الحاجات النفسية فضلا عن البيولوجية ، ومع ذلك يحددها « رالف لنتون » بثلاثة عناصر أساسية صالحة لتفسير السلوك البشري وهي :

١) الحاجة إلى الاستجابة العاطفية .

٢) الحاجة إلى الخبرة الجديدة .

٣) الحاجة إلى الأمن .

- ومع ذلك فان أشكال السلوك المختلفة لا يمكن تفسيرها على أساس الحاجات الدافعة وحدها ، فهذه الحاجات مجرد قوي ومحركات ودوافع . والسلوك المعبر عنها يتشكل بعدد لا نهاية له من العوامل الأخرى في المحيط الذي يحيا فيه الإنسان .
- ويعمق « مالينوفسكي » هذا الاتجاه موكداً :

– أن الحاجات الأساسية للفرد وإشباعها ترتبط ارتباطا وثيقا باشتقاق حاجات ثقافية جديدة ، وان هذه الحاجات الجديدة لا تتم إلا بإنشاء بيئة جديدة ، بيئة ثانوية أو اصطناعية . وهذه البيئة هي الثقافة بعينها لا أكثر ولا أقل .

- هذه المقاربة الوظيفية تتضمن « فكرة التنظيم » ، ذلك أنه لا بد من تعاون بين الناس والمجموعات لإشباع الحاجات وهذا ينطبق على كل الجماعات في كل الثقافات .
- ويسمي « مالينوفسكي » وحدة التنظيم الإنساني " النظام الاجتماعي" والذي يعني به الاتفاق على مجموعة من القيم التقليدية تجمع الناس وتنظم حياتهم وعلاقاتهم مع بعضهم ومع بيئاتهم الطبيعية منها والصناعية .

- وقد تنشأ النظم الاجتماعية تلقائياً أو عن قصد لتأمين الرغبات الأساسية والحاجات الأولية الضرورية فضلاً عن أنها تمد الأفراد بالأصول والقواعد والمبادئ العامة التي يجب أن تقوم عليها معاملاتهم وهناك عدة تعريفات للنظم الاجتماعية ، ولكنها بشكل عام ليست إلا نماذج منظمة للسلوك توجه سلوك الأفراد ومواقفهم .
- للنظم الاجتماعية أهمية كبرى ، فهي التي تعمل على تشكيل سلوك الأفراد والجماعات وتضعه في قوالب ونماذج تسهل الاتصال والتفاعل ، وبالتالي فهي تؤثر في أفكارهم ومعلوماتهم ومهارتهم وخبراتهم ودوافعهم وقيمهم واتجاهاتهم لأنها تحملهم على تكييف سلوكياتهم وفقا لمقتضياتها . وهي تنقل إلى الفرد التراث الثقافي وتطبعه بالطابع المميز الخاص بالمجتمع الذي يعيش فيه .
- يعتبر « اميل دوركايم » النظم الاجتماعية ذات خاصية إلزامية وإجبارية ، أي أنها تفرض نفسها على الأفراد وتجبرهم على طاعتها .
- ونظرية « اميل دوركايم » في هذا المجال تقوم على أساس التمييز بين ما يسميه :

التصورات الفردية :	• وأساسها المشاعر الناتجة عن تفاعل كثير من خلايا المخ ، وما ينتج عن هذا التفاعل من مركب ذي صفات خاصة به ، والمشاعر الناتجة تمتزج لتكون الصور وهي بدورها تمتزج لتكون التصورات الفردية .
التصورات الجمعية :	• وهي تنتج عن طريق مزج الضمائر الفردية واتحادها في النهاية .

- ويرى « اميل دوركايم » أن التصورات الجمعية هي أعظم شكل للحياة النفسية .
- يكتسب الفرد الأنماط الثقافية المناسبة أثناء عملية التنشئة الاجتماعية بدءا بأساليب السلوك المتنوعة وصولاً إلى الأنشطة الجماعية .
- ويمكن القول ان لكل مجتمع أو طبقة أو جماعة أنماطاً ثقافية تتشكل في أنساق متكاملة وتعمل كنماذج تفرض نفسها على الأفراد بما يضمن حد أدني من التماثل في السلوك .
- قد يكون النموذج الثقافي عموميا وشائعاً في المجتمع ككل ، كما قد يكون خاصاً بقطاع معين من المجتمع ، وفي هذه الحالة يسمى ثقافة فرعية . فطرق تناول الطعام بدءا بالمجتمع الغربي المدني وانتهاء بالمجتمع البدوي أو الريفي تعبر عن أنماط ونماذج ثقافية ، كما أن طرق التعبير عن الفرح أو الحزن والاحتفالات وطقوس العبادات تعبر أيضا عن أنماط ونماذج ثقافية تختلف باختلاف المجتمعات .
- أن تحليل شكل الثقافة ومحتواها في مجتمع ما مهما بدأ عليها من تجانس وبساطة ، ينطوي على كثير من الصعوبات التي تفرض تحليل السمات الثقافة وما يندرج تحتها من خصوصيات حتى يمكن فهم الثقافة في وحدتها وتكامل أجزائها.

ثانيا : استمرارية الأنساق الاجتماعية والثقافية وتفاعلها :

- إذا كان « اميل دوركايم » واضحاً في رؤيته للمجتمع بصفته مصدر لتشكيل الفرد وقولبته كيفما شاء ضمن أطره الثقافية ، فان الفرد هو ركيزة الحياة الاجتماعية عند « ماكس فيبر » فهو يشكل المجتمع بإرادته الواعية . وقد قدم « بارسونز » مفاهيم تحليلية متقدمة تضمنت نظرية عامة عن المجتمع لا تبرز الرأسمالية بقدر ما تقدم تفسيرا وفهما لصعوبات الرأسمالية دون أن تدينها . لقد رأي « بارسونز » الحياة الاجتماعية من خلال أفكار البشر وبخاصة من خلال معاييرهم وقيمهم .

- نظر « بارسونز » في كتابه " بنية الفعل الاجتماعي" إلى البشر على اعتبار أنهم يقومون بالاختيار أو المفاضلة بين أهداف مختلفة ووسائل تحقيق هذه الأهداف ووفق هذه الخلاصة – النموذج– هناك أولا الإنسان الفاعل وثانيا نطاق الأهداف التي لا بد أن يختار من بينها الفاعل وهناك ثالثاً الوسائل الممكنة لبلوغ تلك الغايات .
- تتكون « وحدة الفعل الصغرى » إذن من " الفاعل " والوسائل والغايات والبيئة التي تضم أشياء اجتماعية ومادية فضلا عن المعايير والقيم ، ويتكون "نسق الفعل" عند « بارسونز » من العلاقات القائمة بين الفاعلين وهذا النسق يركز على معايير وقيم تشكل مع الفاعلين الآخرين جزءا من بيئة الفعل .ويخلص « بارسونز » إلى إن أي نسق ، وعلى أي مستوي يجب أن يفي بأربعة متطلبات إذا كان يريد البقاء وهي كما يلي :

١) «وظيفة التكيف » : ان كل نسق لا بد أن يتكيف مع بيئته .

٢) « وظيفة تحقيق الهدف » : لا بد له من أدوات يحرك بها مصادره ليحقق أهدافه .

٣) « وظيفة الاندماج والتكامل » : عليه أن يحافظ على التواؤم والانسجام مع مكوناته .

٤) « وظيفة ثبات المعايير » : وقوامها أن تؤكد قيم المجتمع وأن تضمن أنها معروفة من قبل الأعضاء ، وان ثمة حافزا لهؤلاء كي يقبلوا هذه القيم وان يخضعوا لمتطلباتها.

- إن نقطة الانطلاق في التحليل البارسوني هي " الفعل " أي السلوك الإنساني الفردي أو الجمعي ، لذلك يشدد على إن موقع الفعل يتحدد دائما في أربعة سياقات هي :

١) « السياق الأيديولوجي » بحاجاته ومتطلباته الفيزيولوجية والعصبية .

٢) « السياق النفسي » والذي يتدرج في اختصاص علم النفس وإطار الشخصية .

٣) « السياق الاجتماعي » بتفاعلاته بين الإفراد والجماعات .وهو من اختصاص علم الاجتماع

٤) « السياق الثقافي » وهو يتمثل بالمعايير والنماذج والقيم والإيديولوجيات والمعرف وهو السياق الذي درسته الأنثروبولوجيا بداية .

- في التحليل البارسونزي نظر إلى الأنساق الاجتماعية والثقافية وإلى الأدوار بوصفها نتيجة للفعل الاجتماعي أو العكس ، إلا إن " التفاعلية الرمزية " لم تقم بهذه النقلة ، بل ظلت مع الفعل الاجتماعي . أنها ترى البنى الاجتماعية ضمنا باعتبارها بني للأدوار بطريقة « بارسونز » نفسها ، إلا إنها لا تشغل نفسها بالتحليل على مستوي الأنساق . أنها تبقي اهتماماتها على مستوي " وحدة الفعل الصغرى" ولا تهتم بقضية الاختيار بين سلم المفاضلات قدر اهتمامها بقضية تشكيل المعاني . والمؤسس الفكري لهذا الاتجاه هو « جورج ميد » ، وهو اتجاه تجاذبته أكثر من تيار إلا إن « هربرت بلومر » أوجز فرضيات التفاعلية على الشكل التالي :

١) إن البشر يتصرفون حيال الأشياء على أساس ما تعنيه تلك الأشياء لهم .

٢) هذه المعاني هي نتاج للتفاعل الاجتماعي في المجتمع الإنساني .

٣) وهذه المعاني تحور وتعدل ويتم تداولها عبر عملية تأويل يستخدمها كل فرد في تعامله مع الإشارات التي يواجهها .

- هذه الفرضيات الثلاثة تركز على " الرمز الدال " وهو ما يفرق الإنسان عن الحيوان . فاللغة كرمز دال هي المعني المشترك ، وهو يتطور في سياق عملية التفاعل الاجتماعي الذي يولد المعاني ، والمعاني بدورها تشكل عالمنا .
- تبقي التفاعلية الرمزية مقربة معرفية في دراسة الشخصية ويظل اهتمامها مركزاً على دراسة التفكير وعملياته .

المحاضرة الخامسة : خصائص الثقافة وعناصرها

❖ خصائص الثقافة :

- كما ينفرد الإنسان عن جميع المخلوقات بقدرته على صنع الثقافة ، كذلك ينفرد كل مجتمع بشري بخصائص ثقافية تميزه عن باقي المجتمعات . وهناك خصائص عمومية للثقافة ويمكن تحديد أبرزها فيما يلي :

١) الثقافة إنسانية :

- فهي تخص الإنسان فقط لأنها نتاج عقلي ، والإنسان يمتاز عن باقي المخلوقات بقدرته العقلية وإمكاناته الإبداعية ، ولا يشارك الإنسان في هذه الظاهرة " الثقافة" أيا من المخلوقات الحية . فالثقافة من صنع الإنسان ولا تنتقل إلا من خلاله . فلا وجود للثقافة دون مجتمع إنساني ولا وجود للمجتمع الإنساني دون ثقافة ما .

٢) الثقافة مكتسبة :

- فالثقافة ليست شيئا غريزياً أو فطرياً أو ينتقل بيولوجياً ، ولكنها مكونة من عادات واتجاهات مكتسبة يتعلمها كل فرد خلال خبرته الذاتية بعد ولادته من خلال صلته وعلاقته بالآخرين . فالأطفال على سبيل المثال حين يشبون في أسرهم وجماعاتهم فإنهم يكتسبون عن طريق عملية التنشئة الاجتماعية طرق السلوك والتفكير والاعتقاد والشعور التي يفصح عنها آبائهم وأقربائهم وجيرانهم .

٣) الثقافة كل أو نسيج متكامل :

- لا تتكون الثقافة من مجموعة من الأعمال والأفكار المنعزلة عن بعضها ، وإنما تتكون من كل متداخل العناصر متكامل الأجزاء وقد يكون التداخل أو التساند وظيفيا كما يقول الوظيفيون ، وقد يكون نوعا من التكامل البنيوي كما يقول البنيويون .

٤) الثقافة انتقالية وتراكمية :

- تنتقل الثقافة من جيل إلى جيل في شكل عادات وتقاليد ونظم وأفكار ومعارف يتوارثها الخلف عن السلف عن طريق المخلفات المادية والرموز اللغوية ، كما أنها تنتقل من وسط اجتماعي إلى وسط اجتماعي أخر . وبهذا المعني فأنها تراكمية ، فالإنسان يستطيع أن يبني على أساس منجزات الجيل السابق أو الأجيال السابقة ، فهو ليس في حاجة إلى أن يبدأ دائما من جديد .

٥) الثقافة أفكار وأعمال :

- لم يقف الإنسان عاجزا أمام البيئة وإنما أقام معها علاقات أخذت أبعادا ثلاثة : « مادية وفكرية ورمزية » . فمن خلال البعد المادي تحولت علاقة الإنسان مع البيئة إلى أعمال ومنجزات ، بدءا بالآلات والأدوات إلى المنازل والمدارس والمصانع ... وكل عمل إنساني من هذه الأعمال لا يمكن أن يتحقق ما لم تسبقه فكرة وإرادة وتنفيذ . وهكذا فالبعد المادي لا يخرج عن كونه أفكارا تم تجسيدها في أعمال .

٦) الثقافة متباينة المضمون ومتشابهة الكل :

- تختلف الثقافات في مضمونها اختلافا كبيرا وقد يصل الاختلاف إلى درجة التناقض ، بحيث نجد أن النظم التي يتبعها مجتمع ما ويعتقد أنها الفضيلة بعينها قد تعتبر أمراً مخالفاً في مجتمع أخر وقد يعاقب عليه القانون . فمثلاً يستطيع العربي المسلم المقيم في دولة عربية أن يتزوج أمرآتين أو ثلاثة أو أربعة في ظروف معينة ، أما في الولايات المتحدة الأمريكية فيعد ذلك جريمة تعرف باسم " جريمة تعدد الزوجات " ويعاقب عيها الفرد حتى ولو كان مسلماً .

- وبالرغم من إن الثقافات متنوعة في مضمونها لدرجة التناقض ، فان الإطار الخارجي لجميع الثقافات واحد ومتشابه . ففي كل ثقافة نجد أشكالاً ثقافية واحدة مثل نظام العائلة واللغة والدين والفنون والنظم الاجتماعية الخ ..... والتشابه هنا ينصب على الشكل العام الخارجي للثقافات .

٧) الثقافة مثالية وواقعية :

- يمكن القول بأنه إلى درجة كبيرة فان عادات الجماعة والتي تتكون منها الثقافة توضع في معايير مثالية أو أنماط سلوك مثالية ينبغي على أعضاء الجماعة أو أفراد المجتمع أن يحتذوها أو يمتثلوا لها . والثقافة أيضا واقعية من حيث أنها تمثل السلوك الفعلي والواقعي في المجتمع .

٨) الثقافة اشباعية :

- فالثقافة دائماً تشبع الحاجات البيولوجية الأساسية والحاجات الثانوية المنبثقة عنها . فعناصر الثقافة وسائل مجربة لإشباع الدوافع الإنسانية في تفاعل الإنسان بعالمه الخارجي . ويترتب على كون الثقافة إشباعيه وجود تشابهات ثقافية واسعة المدى بين المجتمعات ناتجة عن الحقيقة القائلة بأن الدوافع الإنسانية الأساسية تتطلب أشكالا متماثلة من الإشباع .

٩) الثقافة تكييفية :

- إن الثقافة تتغير وتتميز عملية التغير الثقافي بأنها عملية تكييفية ، فتميل الثقافات – خلال فترات زمنية معينة – إلى التكيف مع البيئة الجغرافية ، وتتكيف الثقافات أيضاً عن طريق الاستعارة والتنظيم وذلك بالنسبة للبيئة الاجتماعية للشعوب المجاورة ، وتتكيف الثقافات لنفسها كذلك ، بمعنى أن تتكيف للتغيرات المختلفة التي تطرأ على مظاهرها بسرعات مختلفة . وأخيراً فان الثقافات عليها أن تتكيف للمتطلبات البيولوجية والسيكولوجية للكائن الحي .

١٠)الثقافة انتقائية :

- يتم انتقال الثقافة من جيل إلى أخر على نحو مختلف كل الاختلاف عن توارث الصفات الجسمية والحيوية في اغلب الكائنات الحية .
- فقوانين الوراثة الحيوية ثابتة مطردة إلى حد بعيد ، أما انتقال الثقافة فلا يتم بمثل هذه الآلية والحتمية ، بل يتم غالباً عن وعي وإدراك وانتقاء . ولكن يجب أن نبرز تلك الحقيقة الجوهرية وهي أنه ليس معنى الانتقاء هنا أن لنا اختيارا تاماً في قبول عناصر ثقافية أو رفضها . فما لا شك فيه أن هذه العناصر تعلو على مشيئتنا إلى حد ما ، وغاية ما هنالك أن قبولنا الواعي لعناصر الثقافة يجعل لنا نوعا من القدرة على تكييفها تبعا لظروفنا والوقوف منها موقف الانتقاء لا موقف التلقي السلبي .

١١)الثقافة مجتمعية :

- بمعنى أنها عادات المجتمع ، ويلزم على جميع أفراد المجتمع إتباعها غير أنه لا تتمتع كل النظم الثقافية بذلك الشمول في التطبيق ، بل إن عددا كبيرا من النظم يطبق على جماعة معينة داخل المجتمع الواحد ولا يطبق على الجماعات الأخرى .

➢ **ويمكن تقسيم النظم الثقافية على أساس مدي شمولها إلى ثلاثة أنواع :**

أ- العموميات :

- وهي النظم الثقافية التي يتبعها كل أفراد المجتمع ، ومن أمثلة ذلك اللغة في المجتمعات البدائية خاصة ، فانه يندر أن يعرف أحد من أفراد القبيلة لغة غير لغة قبيلته . وتعتبر العموميات قليلة لعدد النظم الثقافية الأخرى في المجتمع ، وتؤدي دوراً هاماً في تماسك المجتمع وترابطه نظراً لشمولية تطبيقها .

ب- المتغيرات "البدائل" :

- وهي مجموعة من النظم والعناصر الثقافية التي تطبق في موقف معين وللفرد الحرية في اختيار أحدها وترك الباقي . ومن أمثلة ذلك نظام الزواج في الثقافة الإسلامية ، فالمسلم يستطيع أن يتزوج زوجة واحدة أو زوجتين أو ثلاثة أو أربعة ، وذلك في إطار ظروف وشروط معينة . ومثلاً يستطيع الفرد أن يتعلم أي حرفة " من الحرف التي توافق عليها ثقافته غير أنه ليس من المباح قانونا أن يتعلم الفرد " النشل" ، ولكنه يستطيع أن يختار قيادة السيارات أو الزراعة أو التجارة أو الهندسة وما إلى ذلك .
- ويجب هنا ألا يفهم أن هذه الحرية لا قيود لها ولا حدود عليها ، وإنما هناك حدود تضعها الثقافة ذاتها .

ت- الخصوصيات :

- يشتمل كل مجتمع على تقسيمات فرعية في داخله ، وتزداد تلك التقسيمات كلما تقدمت ثقافته وزادت درجة التخصص بين أعضائه ، وتتميز كل جماعة بنظم وعناصر ثقافية خاصة بها ولا توجد في كثير من الأحيان عند غيرها .
- فإذا نظرنا إلى مجتمع مدينة الرياض مثلا نجد بداخله الآلاف من التقسيمات الفرعية ، وكل قسم يشتمل على جماعة متماسكة الأجزاء لها نظمها الثقافية الخاصة بها ، فهناك جماعات العمال والطلبة والأطباء والصيادلة والمهندسين والمحاسبة والضباط والتجار...الخ
- ويطلق على كل تلك الأنماط الخاصة التي تميز الجماعات داخل المجتمع " الخصوصيات " .

يذهب كثير من المفكرين إلى تقسيم الثقافة إلى عنصرين :	
عنصر مادي :	ويشمل كل ما يتعلق بالمسكن والمأكل والمشرب والملبس والأدوات والتكنولوجيا وما إلى ذلك .
عنصر لا مادي "معنوي"	ويشتمل على الآراء والأفكار والقيم الاجتماعية ، أو يشتمل بصفة عامة على كل العناصر المجردة التي توصل إليها الإنسان كاللغة والآداب والعلوم والفنون والقوانين وما إلى ذلك .

➢ يقسم « روبرت بيرستد » الثقافة إلى عناصر ثلاثة هي :

١) الماديات :

- وهي تمثل الجانب الأكثر وضوحاً والأيسر فهما من عناصر الثقافة . ويشير هذا العنصر إلى كل الأشياء المادية التي يستحوذ عليها أفراد المجتمع ويستخدمونها في حياتهم .

٢) الأفكار :

- فالثقافة في أي مجتمع تتضمن طوائف من الأفكار المتصلة بمختلف نواحي الحياة في المجتمع. وتحرص المجتمعات المتقدمة على تسجيل هذه الأفكار وحفظها في صورة مؤلفات ووثائق .

٣) قواعد السلوك :

- تشير إلى الطرائق التي يتبعها الأفراد في السلوك والعمل ، إن هذه القواعد تعتبر بمثابة أنماط تحدد سلوك الأفراد في مختلف المواقف التي يجدون أنفسهم فيها وفي مختلف قطاعات الحياة.
- وعموماً يمكن تحديد العناصر الثقافية التي يشيع استخدامها بين الاجتماعيين في : التكنولوجيا ، الاقتصاد ، التنظيم الاجتماعي ، الدين ، المعتقدات ، الثقافة الرمزية كاللغة والفنون والتصوير والموسيقي والأدب الخ.... ، العادات ، التقاليد، الأعراف .

المحاضرة السادسة : محددات التفاعل الثقافي وآلياته

❖ مقدمة :

- الإنسان كائن اجتماعي ، وطالما هو كذلك فأنه يعيش حياته في كل زمان ومكان في اتصال مباشر وغير مباشر مع أقرانه ومحيطه .
- والاتصال هو أبرز آليات التفاعل بين الأفراد والجماعات . والتفاعل تبادلي يمكن ملاحظته داخل الجماعة وخارجها ، وهو قد يأخذ ثلاثة أشكال :
  - « من شخص لأخر » أو « من شخص لجماعة » أو « من جماعة إلى جماعة » .
- لكن آليات التفاعل متعددة تحاكي في كثرتها تعقد الحياة الاجتماعية ، وبالتالي هي حالات لا يمكن تصنيفها بسهولة لأنها في الحياة العملية لا تعمل بمعزل بعضها عن بعض .
- وقد اخترنا « خمس آليات أساسية للتفاعل الثقافي والاجتماعي » تتمثل فيما يلي :

١) التبادل :

- لطالما اعتبرنا التبادل عملية اقتصادية بحته ، لكن علماء الاجتماع المعاصرين أوضحوا أن التبادل هو أحد أشكال التفاعل الاجتماعي .
- يحدث التبادل بين المجموعات سواء كانت كبيرة تحاكي بحجمها الدول الحديثة ، أم صغيرة مساوية لمجموعة الزوجين الأساسية .
- إن علم الاجتماع مدين لـ « جورج سيمل » في إبراز أهمية التبادل في دراسة التفاعل الاجتماعي .
- يشير « سيمل » إلى أن التبادل هو : « إعطاء شكل محسوس للتفاعل الاجتماعي بحيث يصبح واقعة قابلة للقياس نوعا ما » .
- وتتلخص نظرة « سيمل » بأنه :
  - مهما كانت العلاقات حميمة وصادقة ، فإنها تظل متميزة بمعالم التبادل بحيث يقوم سلوك أحد الطرفين على توقع المكافأة من الطرف الأخر أو الشخص الأخر . ولا يقتصر التبادل على انه يرسخ روابط الصداقة بين الإقران فحسب ، لكنه يوجد أيضا فوارق في المقام ، فالشخص الذي يوفر لشخص أخر أشياء أو خدمات لا يمكن تعويضها أو مبادلة قيمتها ، لا يضع نفسه في مقام أرفع فحسب ، وإنما في مركز نفوذ وسلطة .
- على أية حال سواء كانت آلية التبادل مولدة للصداقة والحب أو للاستياء والكره ، فأنها احدي أهم العناصر التي تدخل في عداد التفاعل الاجتماعي . صحيح إنها أكثر وضوحاً في إطار التبادل الاقتصادي والعقود القانونية ، إلا أنها على القدر نفسه من الأهمية في إطار العلاقات الشخصية بين البشر .

٢) التعاون :

- هو السلوك التضامني أو المشترك لتحقيق هدف ما ، فيه مصلحة مشتركة لجميع الأطراف . والتعاون قد يكون عفوياً أو موجهاً أو طوعياً أو قسرياً ، رسمياً أو غير رسمي ، كبيراً وواسعاً أو ضيقاً وصغيراً .
- وعلى الرغم من ضرورة التمييز بين التعاون والتنافس ، إلا إننا في الحياة العملية قلما نجد هذين النشاطين منفصل احدهما عن الأخر ، ذلك أن التنافس يتطلب على الأقل حدا من التعاون السابق .

وللتعاون أنماط عديدة أهمها أربعة وهي :	
التعاون العفوي	• وهو أقدم أشكال التعاون وأكثرها تلقائية ، وهو غير محكوم أو محدد بتقليد أو عرف ، فهو يقوم في الغالب بين الأصدقاء دون حساب للربح أو للحوافز وهو دائما غير مخطط ، انه ظرفي بطبيعته .
التعاون الموجه	• حيث يتم توجيه العمل أو السلوك باتجاه هدف مشترك . لكن التعاون هنا ليس عفويا ، ولعل التنظيم العسكري هو أقدم أشكال التعاون الموجه .
التعاون التقليدي	• وهو ليس عفويا على الإطلاق ، وكذلك يصعب وصفه بالموجه ، انه جزء من المعايير والتقاليد والأعراف الاجتماعية المتوازية ، فمجتمع القبيلة نموذج جيد للتعبير عن هذا النوع .
التعاون التعاقدي	• تعتبر بنود هذا التفاعل محددة ومشروطة بإرادة المشاركين أو محكومة بالأنظمة القانونية . وقد يكون التعاون التعاقدي موجهاً أو غير موجه ، لكنه لا يمكن أن يكون عفوياً . انه في كل الأحوال نتيجة للتدبير والتخطيط والتفويض السابق للمسئوليات والمهمات .

٣) التطابق :

- انه السلوك المنسجم أو المتطابق مع المعايير التوجيهية والتحريمية لأية مجموعة اجتماعية ، ومنه تنشأ مظاهر الاتفاق والوحدة التي تزود المجتمع بعناصر قوته ، وعادة ما يكون الإفراد شديدي التطابق مع تلك المجموعات التي يميلون إلى الرجوع إليها وهي التي تسمى « الجماعة المرجعية » كالأسرة والعشيرة والقبيلة وجماعة الأصدقاء .
- إن التطابق هو أحد عمليات السلوك الاجتماعي الأكثر شمولاً واستمراراً ، ذلك أنه يساعد الفرد على تكييف سلوكه وتكييف نفسه مع معايير معينة ، وذلك انعكاساً لتأثير الجماعة الاجتماعية بصورة مباشرة أو غير مباشرة .

٤) الإلزام :

- هو السلوك الناتج عن الإكراه والقهر في الغالب . وقد يبدو الإلزام سلوكاً وحيد الجانب لا نمطاً من التفاعل ، لكنه مع ذلك لا ينفصل عن الشخص أو الفريق الممارس عليه فعل الإلزام . كذلك يمكن للفرد أن يمارس الإلزام أو الإكراه على نفسه ، فما نطلق عليه « قوة الإرادة » ما هو إلا شكل من أشكال الإلزام ، يكون فيها الفاعل والمفعول به شخصاً واحداً بعينه .
- إن للإلزام درجات متفاوتة من الشدة في العلاقة بين البشر والمجموعات ، وهي آلية عامة وشاملة ، لأنها فضلاً عن وجودها المستقل نظرياً ، لا تعمل بمعزل عن الأنماط الأخرى « التبادل – التعاون – التطابق » .

٥) الصراع :

- أنه السلوك الذي يحمل أفرادا أو مجموعات على التنافس أو التناحر في ما بينهم لبلوغ هدف يسعى إليه الجميع . ويمكن للصراع أن يندلع في الإنسان نفسه وذلك حين يشتهي الإنسان شيئا لكنه يقاوم تلك الشهوة وينشأ نتيجة لذلك صراع نفسي داخلي . ومع ذلك يبقى « الصراع بين الإفراد والجماعات أكثر بروزا وتأثيرا في التعامل الاجتماعي » .
- إن مظاهر الصراع كثيرة فقد يكون بين شخصين أو بين جماعتين أو بين دولتين ، وقد يكون الصراع بصفة مباشرة ووجه لوجه ، وقد يكون بصفة غير مباشرة حينما يسعى كل طرف لتحقيق مصلحته الخاصة وهو يعلم أن ذلك لن يتم إلا بالحيلولة دون تحقيق مصالح الطرف الأخر ، وقد ينمو الصراع في الخفاء ويتخذ مظاهر غير مشروعة كالقتل والاغتيال والدسائس والمؤامرات .

- وإذا كان الصراع « بين قوتين متكافئتين » ، فأنه قد ينتهي إلى التعاون بينهما لأن كلا منهما يسأم من استمرار فترة الصراع فتكون النتيجة تقارب وجهات النظر وإمكان الوصول إلى حلول وسطى .
- أما إذا كان الصراع بين « قوتين غير متكافئتين » فان النصر يكون حليف الأقوى ولن يستطيع الأضعف الاستمرار في الصراع وغالبا ما ينتهي الصراع بسيادة الأقوى وخضوع الأضعف .
- وأخيراً يمكننا القول أنه :
  - بدون التفاعل لا يكون هناك حياة اجتماعية أو ثقافية . فبمجرد وضع الأفراد في جوار مادي ينشأ عنه نوع من التفاعل البسيط ، لكنه يأخذ بالتعمق عندما يتحدث أو يعمل الأشخاص والجماعات مع بعضهم البعض في إطار هدف معين أو عندما يتنافسون أو يتشاجر مع بعضهم البعض . وقد يحدث التفاعل ويكون مباشرا وقد يكون رمزيا حين يتكون من أصوات أو إشارات أخرى أو لغة سواء كانت منطوقة أو مقروءة .

المحاضرة السابعة : مصادر الثقافة وإشكالية القيم والتراث الشعبي

❖ مقدمة :

- من أين تأتي الثقافة ؟ من المجتمع ، أم من التاريخ ، أم من الدين ، أم من عمليات التفاعل بين الأفراد وبينهم وبين البيئة ؟ هل يكتسب الإنسان القيم والعادات أم ينتجها ؟ هل يكتفي باكتسابها أم يضيف عليها ويعدلها ؟ هل تأتي الثقافة من القيم والعادات أم ان القيم والعادات تأتي من الثقافة ؟
  - في الحقيقة تأتي الثقافة من كل الاتجاهات وتشرب من أكثر من نبع . وبقدر تفاعل الأفراد مع بيئاتهم واستجابتهم للحاجات المستجدة تنمو الثقافة ويتكون المجتمع . فتحت هذه العناوين : الثقافة والمجتمع والتاريخ تتدرج عملية التكوين ، فحيث لا ثقافة ، لا مجتمع .وعندما توجد الثقافة لابد من مجتمع ، ذلك أنه في الوقت الذي يصنع فيه الإنسان ثقافته يصنع بل يبني فيه مجتمعه .
- وسوف نتناول عبر هذه المحاضرة والمحاضرة القادمة « أبرز مصادر الثقافة كالدين والقيم والعادات والأعراف والتقاليد والشعائر والطقوس والتراث الشعبي » .

أولاً : الثقافة والدين :

- يمثل الدين ثقافة كاملة لشعب أو أمة أو حضارة ، ليس في كونه مجموعة نصوص وتعاليم وقيم فحسب ، بل بما هو كيان مجسد اجتماعياً ومبلور بالممارسة في أنماط وتقاليد وأفعال .
- فالدين ثقافة كاملة فهو يعبر عن رؤية للعالم وللطبيعة والوجود والإنسان وهو كذلك أيضاً لأنه يقدم تصور لبناء الاجتماع الإنساني على نحو يغطي أحيانا أدق تفاصيل هذا الاجتماع اقتصاداً وسياسة وأخلاقا وأحوال شخصية ...الخ
- وبقدر ما يقوم الدين بتشكيل الثقافة وتعبئتها يقوم أيضاً بشحنها بالرموز والمضامين والقيم بل يسهم في تشكيل حقلها الخاص داخل الاجتماع المدني ، إذا ثمة حالتان :
  - يمثل الدين في الأولى نسقاً كاملاً يمد المؤمنين بأنماط متكاملة فيما يتعلق بالقيم وإدراك الوجود .
  - ويمثل في الثانية عنصراً فاعلاً وقدرة دينامية داخل نسق أشمل يتمثل في الاجتماع المدني بأبعاده السياسية والاجتماعية والاقتصادية والوطنية والإنسانية .

ثانياً : القيم الثقافية :

- يعتبر مفهوم القيم من أكثر مفاهيم العلوم الاجتماعية غموضاً وارتباطاً بعدد كبير من المفاهيم الأخرى كالاتجاهات والمعتقدات والدوافع والرغبات .... وقد صاغ « ميلتون روكيش » عدداً من الافتراضات التي ينبغي أن يبدأ منها تحليل طبيعة القيم الإنسانية منها :

١) إن المجموع الكلي للقيم التي يتبناه الفرد قليل نسبيا .

٢) إن الأشخاص في أي مكان يتبنون بدرجات متباينة مجموعة من القيم العامة .

٣) إن القيم منتظمة داخل أنساق للقيمة .

٤) يمكن تتبع منابع القيم الإنسانية في الثقافة والمجتمع والشخصية .

٥) نتائج أو آثار القيم الإنسانية تتبدي واضحة في كل الظواهر التي يجد المتخصصون في العلوم الاجتماعية أنها جديرة بالبحث .

➢ **إشكالية التعريف :**

- هناك محاولات عديدة لوضع تعريف واحد للقيم ، لكنها لم تسفر إلا عن تعدد وتباين واضح في الرأي بين المشتغلين في العلوم الاجتماعية وفيما يلي أبرز التعريفات في هذا المجال :
  - « روبرت بارك وبرجس » يريان : « إن أي شيء يحظى بالتقدير والرغبة هو قيمة ».
  - « جورج لندبرج » يرى : « إن شيئا ما يصبح هو في ذاته قيمة حينما يسلك الناس إزاءه سلوكا يستهدف تحقيقه أو تملكه »
  - « هوارد بيكر » يرى : « أن القيم هي موضوعات تعبر عن حاجات » .
  - « ميلتون روكيش » يرى : « أن القيمة هي معتقد يحظى بالدوام ويعبر عن تفضيل شخصي أو اجتماعي لغاية من غايات الوجود » .
- لا شك في أن هذه التعريفات وغيرها تعكس التباين في وجهات النظر تبعا للمدارس والاتجاهات المختلفة للباحثين ، غير أن هناك مجموعة من النقاط تمثل مؤشرات إجرائية عند تعريف مفهوم القيم ، يمكن حصرها فيما يلي :

١) القيم هي محك نحكم بمقتضاه ونحدد على أساسه ما هو مرغوب فيه في موقف توجد فيه عدة بدائل .

٢) تتحدد من خلالها أهداف معينة أو غايات ووسائل .

٣) يمكن من خلالها الحكم سلبا أو إيجابا على مظاهر معينة من الخبرة في ضوء عملية التقييم التي يقوم بها الفرد .

٤) التعبير عن هذه المظاهر يتم في ظل بدائل متعددة أمام الفرد.

٥) تأخذ هذه البدائل أحد أشكال التعبير الو جوبي مثل " يجب أن ..." حيث يكشف ذلك عن خاصية الوجوب والإلزام التي تتسم بها القيم .

٦) يختلف وزن القيمة من فرد لأخر بقدر احتكام هؤلاء الأفراد إلى هذه القيمة في المواقف المختلفة .

٧) تمثل القيم ذات الأهمية بالنسبة إلى الفرد وزنا نسبيا أكبر في نسق القيم وتمثل القيمة الأقل أهمية وزنا نسبيا أقل في هذا النسق .

- ولمزيد من التحديد في توضيح مفهوم القيم ينبغي التمييز بينه وبين عدد من المفاهيم التي عادة ما تختلط بها وذلك على النحو التالي :

أ) **القيمة ومفهوم الاتجاه :**

- على المستوى الوصفي فان الفرق بين الاتجاهات والقيم كالفرق بين العام والخاص ، حيث تقف القيم كمحددات لاتجاهات الفرد ، فهي عبارة عن تجريدات وتعميمات عامة تتضح من خلال تعبيرات الأفراد عن اتجاهاتهم حيال موضوعات محددة .
- ويمكن النظر إلى الاتجاهات والقيم في ضوء مستويات مختلفة تمتد من الخصوصية إلى العمومية .
  - فالمستوى الأول يتمثل : في المعتقدات .
  - والثاني في : الاتجاهات .
  - ثم المستوى الثالث : حيث توجد القيم
  - ثم المستوى الرابع ويتمثل في : الشخصية .
- فالقيمة بناء أكثر عمومية من الاتجاه ، فهي عبارة عن مجموعة من الاتجاهات المرتبطة فيما بينها .

ب) القيم والمعايير الاجتماعية :

- ثمة ثلاثة جوانب تختلف فيها القيم عن المعايير الاجتماعية :

القيم	المعايير الاجتماعية
١) فالقيمة تشير إلى نمط مقفل للسلوك أو غاية من غايات الوجود	١) يشير المعيار الاجتماعي إلى نمط سلوكي واحد
٢) القيم تتسامي على المواقف الخاصة	٢) المعيار هو تحديد لسلوك أو منع لسلوك أخر في موقف معين
٣) والقيم أيضا هي أكثر شخصية وداخلية .	٣) بينما المعايير اتفاقية وخارجية .

- ويعني هذا أن « المعايير » هي قواعد للسلوك ، فهي تحدد ما يجب وما لا يجب من أنماط سلوكية في ظروف محددة ، بينما « القيم » هي مستويات للتفضيل مستقلة إلى حد ما عن المواقف الخاصة . فمثلاً من القيم السائدة في المجتمعات عموما العدالة والحرية والتهذيب واللياقة ، وفي المجتمعات العربية الكرم والتسامح . ومن أمثلة المعايير نزاهة المدرس وعدالته وعدم تحيزه داخل قاعة الدرس .

ت) القيمة والمعتقد :

تنقسم المعتقدات إلى ثلاثة أنواع :	
وصفية :	• وهي التي توصف بالصحة والزيف
تقييميه :	• أي التي يوصف على أساسها موضوع الاعتقاد بالحسن أو القبح .
آمرة وناهية :	• حيث يحكم الفرد بمقتضاها على بعض الوسائل أو الغايات بجدارة الرغبة أو عدم الجدارة .

- لذلك يرى « ميلتون روكيش » أن القيمة أشبه بمعتقد من النوع الثالث ، ثابت نسبياً يحمل في فحواه تفضيلاً شخصياً أو اجتماعياً لغاية من غايات الوجود أو لشكل من أشكال السلوك الموصلة إلى هذه الغاية .
- وفي المقابل يفرق بعض الباحثين بين القيم والمعتقدات ، على أساس أن « القيم » تشير إلى الحسن مقابل السيئ أما « المعتقدات » فتشير إلى الحقيقة مقابل الزيف .

ث) القيمة والسلوك :

- القيمة هي أكثر تجريدا من السلوك ، فهي ليست مجرد سلوك انتقائي بل تتضمن المعايير التي يحدث التفضيل على أساسها .

➢ **مفهوم نسق القيم :**

- تؤلف مجموع القيم المكتسبة نسقاً متماسكاً حيث تحتل كل قيمة في هذا النسق أولوية خاصة بالقياس إلى القيم الأخرى .
- ويتضمن نسق القيم نوعين رئيسين من القيم :

– « القيم الغائية : وتمثل غايات الوجود الإنساني » ، و « القيم الوسيطة : وهي أساليب السلوك المفضلة لتحقيق الغايات المرغوبة » .

- ومن الأهمية التمييز بين « مدرج القيم » و « نسق القيم » :
  - فالأول يعني ترتيب الشخص للقيم من أكثرها أهمية إلى أقلها أهمية .
  - بينما يشير الثاني إلى التنظيم العام لقيم الفرد والذي من خلاله تتحدد أهمية كل قيمة من هذه القيم وكيف تنتظم وما هي علاقة كل منها بالأخرى .

➢ **تصنيف القيم :**

- قدم نيكولاس ريتشر محاولة قيمة لعرض مختلف أسس تصنيف القيم على النحو التالي :

☒ **التصنيف على أساس محتضني القيمة :**

- حيث ينصب الاهتمام في هذا التصنيف على أولئك الذين يحتضنون قيمة من القيم مثل القيم الشخصية وقيم العمل ...

☒ **التصنيف في ضوء موضوعات القيم :**

- وفيه ينصب الاهتمام على موضوعات محددة تكتسب خاصية قيمية ، فيتم مثلا تقييم الرجال على أساس نسبة الذكاء والأمم في ضوء عدالة النظم السائدة فيها .

☒ **التصنيف على أساس الفائدة أو المنفعة :**

- ترتبط القيم بفائدة أو منفعة يحققها أولئك الذين يؤمنون بها سواء كانت المنفعة تتعلق بإشباع حاجة أم اهتمام أم مصلحة.

☒ **التصنيف على أساس الأغراض والأهداف :**

- أي تصنيف القيم وفقا للغرض المحدد أو الهدف الخاص الذي يتحقق بوجودها ، مثل القيمة الغذائية للطعام والقيمة التبادلية لبعض السلع والقيمة التعليمية لبعض البرامج .

☒ **التصنيف على أساس العلاقة بين محتضن القيمة والفائدة :**

- يقصد بهذا التصنيف ملاحظة أن الشخص يحتضن قيمة معينة لأنه يرى في وجودها فائدة بالنسبة إليه أو بالنسبة إلى الآخرين مثل القيم الأسرية أو المهنية والقومية ...

☒ **التصنيف على أساس العلاقة بين القيم ذاتها :**

- ويعتمد هذا التصنيف على مدي ارتباط القيم بعضها ببعض ، فقيمة الكرم نفسها مثلا تحقق قيمة أعلى هي سعادة الآخرين . في هذه الحالة تعتبر القيمة الأولي قيمة وسيطة أو وسيليه ، وهناك قيم أخرى لذاتها مثل الولاء ، الأمانة ، تلك هي القيم الغائية .

➢ **تتميز القيم إذا بالخصائص التالية :**

١) إنها معتقدات مصدرها الثقافة والتفاعل الاجتماعي وهي تنطوي على ثلاثة عناصر هي :
   - « العنصر المعرفي » و « العنصر العاطفي » و « العنصر السلوكي » .

٢) إن القيم تفصح عن نفسها في أنماط التفضيل والاختيار بين البدائل المتاحة .

٣) القيم تتسم أيضا بالاستمرار النسبي وتخضع في الوقت نفسه للتغير .

٤) القيم ذات أهمية نسبية تتحدد داخل ما يعرف باسم تدرج أو سلم القيم .

٥) تسهم القيم في إعطاء نوع من التماسك لمجموع القواعد والنماذج الثقافية في مجتمع معين .

ثالثاً : العادات والأعراف :

- من بين العناصر الثقافية تبدو العادات الأكثر عمومية ، فهي بطبيعتها استجابة لحاجات ثابتة نسبياً ومتغيرة تبعاً لذلك ، لأنها تستجيب في الزمان والمكان لحاجة اجتماعية .
  - فإذا كان الطعام حاجة اجتماعية ثابتة ، فان عادة تحضير الطعام وكيفية صنعه وطريقة تقديمه وتناوله خاضعة جميعها لمقولة الزمان والمكان . فالحاجة هنا ثابتة ، أما عادة إشباع هذه الحاجة فهي متغيرة .

❖ تنقسم العادات التي يكتسبها الفرد إلى عادات فردية وأخرى جماعية :

١) العادات الفردية :

- وهي ظاهرة شخصية يمكن أن تتكون وتمارس في حالات العزلة عن المجتمع . ويكاد يكون الإنسان مجموع عادات تمشي على الأرض ، بل إن قيمته تعتمد في بعض الأحيان على عاداته ، فطريقة لبسه ونظافته وكلامه ومشيه وأكله وشربه....الخ ، كلها عادات فردية تسهم في نجاح المرء وانسجامه في الحياة .
- والعادات الفردية لا تستمر إلا لأنها تقوم بوظيفة فهي تسهل العمل المعتاد وتجعل تكراره سهلاً ، وهي أيضا تؤدي إلى قيام الإنسان بأعماله في زمن أقل وبتركيز أقل .

٢) العادات الجماعية :

- إذا نشأت عادة تبعاً لظروف مشتركة في مجتمع معين ومارسها عدد كبير ، فمن الممكن أن تصبح عادة جماعية .
- أنها مجموعة من الأفعال والأعمال وألوان السلوك التي تنشأ في قلب الجماعة بصفة تلقائية لتحقيق أغراض تتعلق بمظاهر سلوكها وأوضاعها ، وتمثل ضرورة اجتماعية وتستمد قوتها من هذه الضرورة .
- بعض العادات مفيد للحياة الاجتماعية ويؤدي إلى تعزيز وحدة المجتمع وتقوية الروابط بين أفراده ، مثل آداب السلوك العام وآداب الحديث والمائدة وصلات ذوي القربى . وبعضها سلبي وقد يشيع الفرقة بين أبناء المجتمع الواحد مثل العادات الخرافية وتعاطي الخمور والمخدرات .
- تميل العادات الجماعية إلى الجمود وتقف حائلاً أمام التجديد ويعتبر البعض هذه الخاصية من عوامل الاستقرار الاجتماعي ، ومع ذلك فالعادات الجماعية قابلة للتطور والخروج عن قوالبها الجامدة والقديمة . فقد انتقلت الأشكال الاجتماعية من البساطة إلى التعقيد مما أدى إلى اختفاء العادات الجماعية القديمة ونشوء عادات فردية بديلة عنها .

❖ الأعراف :

- يعرف « سمنر » الأعراف بأنها :
  - تلك السنن الاجتماعية التي تدل على المعنى الشائع للعادات والتقاليد والمعتقدات والأفكار والقوانين وما شابه وبخاصة عندما تحوي حكماً . إنها تحوي جانباً كبيراً لما يطلق عليه " الصواب " أو " الخطأ " .
  - فالأعراف يمكن النظر إليها بأنها قوانين اجتماعية غير مكتوبة لكن متعارف عليها . ويتكون العرف أساسا في ضمير الجماعة بطريقة لا شعورية وتدريجية .

❖ **الفرق بين العادة الجمعية والعرف :**

✓ هو فرق تكويني فلكي :

- فـ « العرف » لا بد أن يتوفر فيه عاملين :
  - الأول : مادي يتمثل بعادة قديمة وغير مخالفة للنظام العام .
  - والثاني : معنوي ويتمثل بأن يشعر الناس بضرورة احترام هذا العرف وبأنه يوجد جزاء يقع عليهم إذا خالفوها.
- أما « العادة » فلا يلزم لنشوئها إلا توفر العامل المادي وهم يحترمونها بالتعود.
- وهكذا فـ « العادة » عرف ناقص إذ يعوزها لتصبح عرفاً أن يشعر الناس بضرورة احترامها ، كذلك تختلف « العادة » عن « العرف » في إن الأخير قانون يطبق على الناس سواء رغبوا أم لم يرغبوا ، أما « العادة » فهي ليست قانون وهي تلزم الناس بذاتها وإنما تطبق عليهم إذا قصدوا إتباع حكمها وبذلك يكون كل عرف عادة ولكن ليس كل عادة عرفا .

رابعا : التقاليد والشعائر والطقوس :

- تعرف التقاليد بأنها :
  - عبارة عن مجموعة من قواعد السلوك الخاصة بطبقة معينة أو طائفة أو بيئة محلية محدودة النطاق ، وهي تنشأ من الرضي والاتفاق الجمعي على إجراءات وأوضاع معينة خاصة بالمجتمع المحدود الذي تنشأ فيه .
  - أما المظهر الغالب للشعائر والطقوس ، فأنها من طبيعة دينية وهي تنطوي في جانب منها على مجموعة من المحرمات المقدسة المعروفة باسم « التابو » وهي تشير إلى : مجموعة من الأمور والأفعال والمواقف التي يجب على الأفراد القيام بها وبخاصة أنها تستند إلى الجزاء الديني والردع الخلقي .
- ويقصد بالشعائر والطقوس الدينية :
  - مجموعة من الأفعال المرعية والممارسات التي تنظمها قواعد نظامية من طبيعة مقدسة أو موقرة ذات سلطة قهرية ملزمة ضابطة لتتابع بعض الحركات الموجهة لتحقيق غايات ذات وظيفة محددة .
  - هي إذن قواعد ضابطة للمناسبات لا تهدف إلى تحقيق منفعة وإنما هي أدوات تنظيمية من طبيعة الحياة الاجتماعية تعمل على تثبيت قواعد الحياة الجمعية لأنها تتكرر بصفة منتظمة .

خامساً : التراث الشعبي :

- يتجلى التراث الشعبي في عناصر كثيرة منها « الفولكلور والموروث الثقافي والمعتقدات الشائعة من خرافات وأساطير » . ولفظ " تراث " يعني بشكل عام العناصر الثقافية التي تلقاها جيل عن جيل .

☒ الفولكلور :

- معنى كلمة « فولكلور » حرفياً هو معارف الناس أو حكمة الشعب ، وهو استخدام ليدل على العادات والمعتقدات والآثار الشعبية القديمة المأثورة . وقد اختلفت مدارس « الفولكلور » حول تحديد موضوعه فمنها من قصره على الأدب الشعبي وبعضها حدده في الحكايات الخرافية والأساطير وبعضها الأخر ضم إليه طرائق الحياة الشعبية .
- ويمكن القول إن المتخصصين بـ « الفولكلور » قد حدد ميدانه أخيراً في تلك الفنون التي تمتاز بعراقتها وانتقالها عن طريق التقليد والمحاكاة أو النقل الشفهي وهي غالبا ما تكون مجهولة المؤلف.

➢ **يتضمن التراث الشعبي اعتقادات متنوعة منها ما يلي :**

- الاعتقاد بالكائنات العلوية والسفلية كالجن والعفاريت وأرواح الموتى .
- الاعتقادات الخاصة بالتشاؤم أو بالتفاؤل من أشياء أو أفعال أو التوقي مما يجلب النحس " الأحجبة" .
- ماله علاقة باستقراء الغيب والكشف عن المستقبل بقراءة الكف وما يطلق عليه " ضرب الودع ".
- ما يتضمن الاعتقاد في السحر والتعزيم .
- الاعتقاد بالأولياء والوسطاء والإيمان بالهبات والقرابين .
- العادات المرتبطة بدورة الحياة والتي تدور حول الولادة والسبوع والختان والخطبة والمرض والموت.
- منها ما يتعلق بالحكايات والأدب الشعبي كالسير الشعرية والنثرية والقصص والأسطورة والموال والأغاني
- ومنها ما يتعلق بالمواسم الزراعية أو الزمنية أو الأعياد والموالد .

❖ **خصائص الثقافة الشعبية :**

- يمكن أن نوجز أهم الخصائص التي تتسم بها الثقافة الشعبية فيما يلي :

١) الإلزام :

- مما لاشك فيه أن نفوذ الثقافة الشفهية كبير وهو يصل إلى حد الإلزام .
- وقد أشار « اميل دوركايم » إلى خاصية القهر والإلزام فيما أسماه بالعقل أو " الضمير الجمعي" الذي جعل منه " فكرة قاهرة " متحققة في ذاتها وخارجة عن إرادة الأفراد .

٢) التلقائية :

- وهي في أساسها تلقائية غير واعية لأن أساسها المحاولة العشوائية في سد الحاجات الطبيعية الضرورية وإشباعها والتي تتحول مع الوقت إلى عادات فردية وجماعية .

٣) غير مدونة :

- فالمجتمع لا يتصدى لبناء ثقافته الشعبية وعاداته وتقاليده بعمل شعوري واع لذلك هو لا يدونها بين أخبار تاريخه ، وإذا أردنا الوقوف عليها فهي في الذاكرة الجماعية محفوظة ويتم تناقلها بدقة متناهية .

٤) الاستمرار والثبات :

- تبدو هذه الخاصية واضحة بانتقال تلك الثقافة من جيل إلى جيل دون تغيير أو تحريف في الأسلوب العام ، مع قابلية نسبية للتعديل تبعا لظروف جديدة .

٥) الجاذبية :

- تبقى الثقافة الشعبية مقبولة ومرغوبة على الرغم مما فيها من إلزام وقهر ، فهي تنطوي على ما تواضع عليه أفراد الجماعة من أفعال سلوكية .

➢ **وأخيرا يمكننا القول :**

- إن للثقافة الشعبية وظائف متعددة منها الوظيفة الاقتصادية والتوجيهية والجمالية والتنبؤية ، لكن أهمها بلا شك وظيفة الضبط الاجتماعي .

المحاضرة التاسعة : ديناميات التغير الثقافي

أولاً : مفهوم التغير الاجتماعي والثقافي :

- يعتبر مصطلح التغير الاجتماعي مصطلحاً حديثا نسبياً وغالباً ما يختلط مع مصطلحات أخرى مثل : التطور والتقدم والنمو والتنمية وسوف نحاول « بيان الفارق بين هذه المصطلحات ومفهوم التغير الاجتماعي والثقافي » :

☒ التغير والتطور :

- كثيرا ما استخدم مفهوم التغير الاجتماعي ومفهوم التطور الاجتماعي كما لو كانا يدلان على المعنى نفسه والواقع إن :
  - مفهوم « التطور » يشير إلى : الحالة التي تنتقل من طور لأخر كانتقال المجتمعات من طور البداوة إلى طور التحضر ، ولقد شهد هذا المفهوم انتشارا واسعا مع ظهور نظرية داروين في منتصف القرن التاسع عشر .
  - أما مفهوم « التغير » فهو يشير إلى : تلك التحولات والتبدلات التي تحدث في البناء الاجتماعي .

☒ التغير والتقدم :

- يعبر مفهوم « التقدم » عن عملية ديناميكية تتحرك بالمجتمع نحو غاية معينة والواقع أن مفهوم « التقدم » يختلف عن مفهوم « التغير » ذلك أن مفهوم « التقدم » يختلف من مجتمع لأخر بحسب ثقافة المجتمع ،كما أن فكرة « التقدم » نفسها قد تتغير بتبدل الظروف والأمكنة.
- فـ « التقدم » في مجتمع ما قد يكون تخلفا في مفهوم مجتمع أخر . والواقع إن استخدام مفهوم « التقدم » يواجه صعوبات منهجية حيث يحمل معنى خط سير المجتمع نحو الأمام ، أي أنه يسير في خط صاعد ، في حين إن مفهوم « التغير » يتضمن إمكانية التقدم أو التخلف .

☒ التغير والنمو :

- « النمو » عملية تلقائية وهو يقترب من مفهوم التطور نظرياً ، إلا أنه لا يتطابق معه . و « النمو الاجتماعي » أكثر تعقيدا من « النمو العضوي ».
- ومفهوم « النمو » يشير إلى الزيادة الثابتة نسبياً والمستمرة في جانب واحد من جوانب الحياة ، أما « التغير » فيشير إلى التحول في البناء الاجتماعي والأدوار الاجتماعية ، وقد يكون هذا التحول ايجابيا وقد يكون سلبياً كما قد يكون « النمو » بطيئا في العادة ، أما « التغير » الاجتماعي فيكون في الغالب سريعاً ويغلب على الأول التغير الكمي أما الثاني فيغلب عليه التغير الكيفي .

☒ التغير والتنمية :

- تعني « التنمية » مجمل الجهود المنظمة التي تبذل وفق تخطيط مرسوم لتحقيق التعبئة المثلى لجهود الأفراد ، والتنسيق المتكامل بين الإمكانيات البشرية والمادية المتاحة في وسط اجتماعي معين ، بقصد تحقيق أكبر قدر ممكن من الرفاهية الاجتماعية بأسرع وقت وبما يتجاوز معدل النمو الطبيعي . فـ « التنمية » عملية إرادية مخططة ومفهومها أقرب إلى مفهوم « التغير » إذا ما قورن بمفاهيم التقدم والنمو والتطور وهو يختلف عنه في المحصلة النهائية التي تتضمن بعدا ايجابيا بشكل دائم ، في حين إن التغير الاجتماعي قد يكون تغيرا ايجابيا وقد يكون نكوصاً سلبياً .

➢ **بقي أن نطرح سؤالا عن علاقة التغير الثقافي بالتغير الاجتماعي ؟ وللإجابة عن ذلك التساؤل لابد أن نعرف كلا المفهومين :**

- فـ « التغير الثقافي » هو ما يطرأ من تبدل في جانبي الثقافة سواء أكان ماديا أم معنويا . أنه تغير يحدث في جميع نواحي المجتمع "اللغة ، الفن، العادات والتقاليد ، التكنولوجيا... " .
- أما « التغير الاجتماعي » فيشير إلى تلك التبدلات والتحولات التي تحدث في بناء المجتمع ووظائف هذا البناء المتعددة .

- وفي ضوء ما سبق يتبين إن « التغير الاجتماعي » جزء من « التغير الثقافي » ، فكل تغير اجتماعي يعد تغيراً ثقافياً وليست جميع التغيرات الثقافية تقع في دائرة التغير الاجتماعي .

ثانياً : العوامل المؤثرة في حدوث التغير :

- هناك العديد من العوامل المساعدة أو المسببة للتغير الاجتماعي والثقافي منها ما يلي :

١) العوامل الايكولوجية والطبيعية :

- تتمثل بمكونات البيئة الطبيعية التي يعيش فيها الإنسان وتتضمن الموقع الجغرافي والتضاريس والتربة والمناخ والمواد الأولية ، وعلى الرغم من إن التغيرات في البيئة الطبيعة نادرة الحدوث ، إلا أن تأثيرها عندما تحدث يكون عظيما في حياة المجتمع .
- وقد أهتم « ابن خلدون » في مقدمته ببيان أثر البيئة في العمران البشري ، وأكد تأثير المناخ في طبيعة الظواهر الاجتماعية والنفسية للسكان ، كما رأى « مونتسكيو » في كتابه روح القوانين أن محرك التاريخ ومصدر الشرائع يتحدد في المناخ والامتداد الجغرافي ، وقدم « ديمولان » إسهاما كبيرا في دعم الاتجاه الحتمي الجغرافي ، بين فيه تأثير العناصر الطبيعية في حياة البشر .
- والتغيرات البيئية قد تكون طبيعية لا دخل للإنسان فيها مثل حدوث زلزال أو بركان أو فيضانات ... وقد تكون من فعل الإنسان مثل شق قناة أو بناء سد أو إزالة غابة بأكملها .
- والجدير بالذكر إن الإنسان في الوقت المعاصر لا يخضع للعوامل الطبيعية خضوعاً تاماً بحيث تتحكم في حياته ومصيره ، فقد استطاع بالعلم أن يطوع البيئة ويستخدم معطياتها لصالحه ، ولم تعد علاقته بهذه البيئة ذات طابع حتمي .

٢) العوامل السكانية :

- يعتبر حجم السكان وتوزيعهم وتركيبهم من العوامل المهمة في إحداث التغير الاجتماعي ، فالعوامل السكانية تلعب دوراً ملحوظاً في حياة المجتمعات وفي تغيرها كذلك ، فالمجتمع الذي يعاني من ضغط سكاني غير المجتمع الذي يعاني من نقص في عدد سكانه ، والمجتمع الذي تتناسب موارده مع احتياجات سكانه أو تزيد غير المجتمع الذي لا تستطيع موارده أن تفي بالاحتياجات الأساسية لسكانه .
- ومن العلماء الذين بالغوا في الاتجاه السكاني وتأثيره « مالتوس » الذي أعتبر الزيادة السكانية معرقلة لتقدم المجتمعات .

٣) العوامل الإيديولوجية والثقافية :

- تعتبر الإيديولوجية قوة فكرية تعمل على تطوير النماذج الاجتماعية الواقعية وفقاً لسياسة متكاملة تتخذ أساليب ووسائل هادفة وتساندها عادة تبريرات اجتماعية أو نظريات فلسفية أو أحكام عقائدية أو أفكار تقليدية . فهي حركة فكرية هادفة لها فاعلية ايجابية في البيئة الاجتماعية وفي العلاقات الاجتماعية وتنعكس روحها على التنشئة الاجتماعية بما يحدث تغييرا في القيم

والعمليات الاجتماعية المختلفة والعوامل الإيديولوجية غير مقتصرة على النواحي السياسية ، بل تتعدي ذلك إلى النواحي الدينية والعسكرية والاجتماعية والفكرية .. وهذه كلها تتأثر من جراء التغير .

- وهناك كثير من الأفكار التي تلعب دورا هاما في إحداث التغير والتي تتعلق بالحرية والإنسان وحقه في الحياة ، وهذه بانتشارها تلاقي قبولا ويكون لها الأثر في إحداث التغير الثقافي والاجتماعي .
- وقد استقطبت الايدولوجيا ودورها في التغير الاجتماعي كتابات كثيرة منها ما كتبه « كارل مانهايم » مطلع الخمسينيات ، وما كتبه « ماكس فيبر » حيث كان يرى أن هناك فترات تحول تمر بالمجتمعات بفضل وجود عباقرة وأبطال ،أو انبثاق فئة من الحكماء والأنبياء والمرشدين أو العلماء ..

٤) العوامل التكنولوجية :

- ويقصد بها كافة العوامل التي تكون من ابتكار الإنسان بهدف إشباع حاجاته المختلفة ، فاختراع أو اكتشاف أية وسيلة من وسائل الإشباع الجديدة لها أثرها الكبير على التغير الثقافي والاجتماعي ، فقد أدى اكتشاف البخار والكهرباء مثلاً إلى انتقال الصناعة من المجال اليدوي إلى المجال الآلي وما صاحب ذلك من حدوث تغيرات اجتماعية كثيرة بالنسبة لقوانين العمل والعلاقات الاجتماعية .
- وقد شهدت الإنسانية في العصور الحديثة تغيرات تكنولوجية بعيدة المدى تتمثل في المخترعات التي أحدثت تغيرات جذرية في ميادين الفلك والطبيعة والكيمياء والطب ... وانعكست هذه المخترعات في تطوير الوسائل المستخدمة في الحياة بجوانبها المختلفة مما كان له أكبر الأثر في السير بالتغير الاجتماعي إلى أبعد مدي وأوسع نطاق .

٥) العوامل الاقتصادية :

- كانت « النظرية الماركسية » أشهر النظريات التي فسرت التغير في المجتمع بردها إلى عوامل اقتصادية .
- إن التفسير الاقتصادي للتغير الاجتماعي يعتبر القوى الاقتصادية ، كالفقر والبطالة والدورة الاقتصادية وفترات الرخاء والكساد وعدالة التوزيع أو عدمها ... ، فهي المسئولة إلى حد كبير عن التطورات والإحداث التاريخية التي يمر بها المجتمع الإنساني .

- الخلاصة :
  - لا يمكن القول إن عوامل التغير الاجتماعي والثقافي يمكن تعليلها بعامل واحد فالواقع يؤكد تساند وتفاعل عدة عوامل لإحداث التغير .

المحاضرة العاشرة : العولمة وإشكالية الهيمنة

❖ مقدمة :

- منذ تسعينات القرن العشرين شهد العالم فيضا من الكتابات عن العولمة ، وهي أصبحت بفضل ذلك الاهتمام الواسع الإطار المرجعي لجميع الدراسات الاجتماعية والسياسية والثقافية والاقتصادية .
- ومع ذلك يبدو من الصعوبة بمكان طرح تعريف جامع مانع لهذه الظاهرة المركبة ، فهناك اختلاف بين الباحثين حول هذا المفهوم وفقا لتخصص كل باحث ، فالاقتصادي يقدم مقاربة عن العولمة يركز فيها على المستجدات الاقتصادية وحركة تراكم رأس المال على الصعيد العالمي ، تختلف عن قراءة السياسي الذي يقرأها من زاوية تأثير المتغيرات العالمية والتكنولوجية في الدولة التي يتقلص أمامها العالم يوما بعد يوم .
- والسوسيولوجي يرصدها كما تتزامن مع قضايا ذات بعد عالمي كالانفجار السكاني والتلوث البيئي والفقر والمخدرات وازدحام المدن وبروز المجتمع المدني .
- والثقافة تقارب العولمة من زاوية انفتاح الفضاء الثقافي وتهديد الخصوصية والهوية القومية وهيمنة الثقافة الاستهلاكية وتهديدها للقيم المحلية . لذلك فان أي تعريف يقدم للعولمة يعكس الإطار المرجعي لحقل الاختصاص الذي أنتجه .
- على المستوي العربي قدمت العديد من الأبحاث والمؤلفات التي تعلل أبعاد ظاهرة العولمة ، منها :

– ما قدمه « إسماعيل صبري عبد الله » الذي أعتبر العولمة مرحلة وصل إليها قانون الرأسمالية نحو المزيد من تمركز رأس المال والسيطرة والقوة الاقتصادية ، باعتماد إيديولوجية السوق والليبرالية .

– أما « صادق جلال العظم » فيرى أن العولمة مازالت قيد التشكيل ، ما يعني أنها موضع سجال واجتهادات متباينة . وفي رأيه أن ما يميز العولمة على الصعيد الاقتصادي الرأسمالي أنها نقلت العالم من دائرة التبادل والتوزيع والسوق والتجارة على نطاق عالمي إلى مرحلة أخرى يجري فيها الإنتاج والاستثمار في مجتمعات الأطراف.

أولا : مقترب اقتصادي للعولمة :

- تكتسب العولمة الاقتصادية اليوم فعاليتها وحيويتها من الاستقطاب الأحادي للنموذج الرأسمالي الذي حقق أبرز نجاحاته بعد سقوط النموذج الاشتراكي بحيث أصبح العالم أسيرا لمنطق السوق والخصخصة وتحرير الاقتصاد والاندماج وإعادة الهيكلة ، وبخاصة بعد اندفاع الدول الاشتراكية السابقة إلى الالتحاق بهذا النموذج الذي يتجه أكثر فأكثر نحو تكوين صورته النموذجية على الصعيد النظري والتطبيقي ، التي يعد فيها بأنه سيجلب الرفاهية والنمو لسكان هذا الكوكب .
- لقد أصبحت بلدان الهامش تعاني أكثر فأكثر من الديون المتراكمة ، وحين تفشل مشروعاتها غير المدروسة ، تجد نفسها في حاجة إلى مزيد من المساعدات المشروطة وبهذا أصبح المركز هو المسيطر والمتحكم ليس فقط بموارد الهامش بل بحقه في إعادة تنظيم حياته ، وهذا ما دفع تقرير التنمية البشرية لعام ١٩٩٢م الصادر عن برنامج الأمم المتحدة الإنمائي إلى التحذير من إن تقدم العولمة أصبح يهدد البلدان النامية في فقدان قوتها وسيطرتها على اقتصادها .

ثانيا : مقترب سياسي للعولمة :

- كانت السياسة أحد أبرز الاختصاصات للدولة القومية ، لكنها اليوم بفعل العولمة وتداعياتها تتعرض لمنافسة شديدة من لاعبين يزدادون عدداً وفعالية في المسرح الدولي مثال : الشركات متعددة الجنسيات ، جماعات الضغط العالمية ، وسائل الإعلام والاتصال، الرأي العام ، المنظمات غير الحكومية، المؤسسات الدينية ...
- لقد أصبح ارتباط السياسة بالمجال المحلي للدولة القومية بعيداً عن التدخلات الخارجية أقل فاعلية وتأثيرا بفعل الاتجاه المتزايد نحو " عالم بلا حدود " الأمر الذي فتح الباب واسعا لإعادة النظر بمفهوم السيادة ، فالدولة الوطنية القومية هي نقيض العولمة .
- إن الانتقال الحر للسلع والخدمات والأفكار والمعلومات عبر المجتمعات والقارات والذي أدى بلا شك إلى تقليص مفهوم السيادة المطلقة ، ربما ساهم بتعميم انطباع بان الدولة فقدت دورها وأهميتها ، إلا إن هذا لن يؤدي على الأقل في المدى المنظور ، كما يذهب بعض المتحمسين للعولمة إلى وضع نهاية للدولة انسجاما مع مقولة النهايات التي روج لها " فوكوياما " .
- لقد أنهت العولمة تقريبا مقولة إن السياسة محلية أو قومية فقط ، لقد أصبحت تأثيراتها أكثر انتشارا وتدفقا ، كما أنها تنتقل بأقل قدر ممكن من القيود . وهذا يعني أن السياسة تتجه نحو عالم بلا حدود سياسية ،كما هو واقع الأمر على مستوى النظام الاقتصادي العالمي الذي قضي على خصوصية السوق القومية .
- أصابت التداعيات المصاحبة للعولمة مفهوم السياسة بحيث برزت معها رزمة من المفاهيم الجديدة أكدت حضورها بفعل التغيرات الهائلة التي اجتاحت عالم اليوم الذي أصبح أكثر اهتماما بحقوق الإنسان وحرياته السياسية والمدنية وأكثر انجذابا للنموذج الليبرالي بعدما تراجعت أو سقطت النماذج البديلة أو المنافسة .
- إلا إن ابرز الانتقادات الموجهة إلى الديمقراطية في ظل العولمة اليوم كونها ديمقراطية خاضعة للسوق ، ومن الوهم الاعتقاد إن النظامين متكاملان ، فالعديد من مفكري الغرب نفسه يرون أنهما متناقضين، فالسوق مثلا لا يحتاج إلى حدود بينما تتطلب الديمقراطية ذلك .

ثالثا : الثقافة والعولمة والتقانة :

- إذا كان الباب الاقتصادي والسياسي قد فتح أمام العولمة ، فأنه من الطبيعي أن يصبح المجال الثقافي بكل إبعاده مجالاً خصباً لتداعياتها . لقد كانت العوامل العسكرية والاقتصادية القائمة على استعمال القوة المادية هي الحاسمة في إخضاع الآخرين وفرض شروط المنتصرين عليهم ، لكننا نشهد اليوم تحولاً جذرياً في أدوات وتقنيات إدارة الصراع سببه التطور الذي نشهده في ميدان إنتاج المعرف والأفكار والرموز والقيم ، أي إن ميدان الثقافة انتقل من كونه عاملاً مساعداً ليصبح من أبرز حقول الصراع المعاصرة وما الحديث عن صدام الحضارات الذي أشار إليه « هانتجتون » إلا دليل على المكانة التي أخذ يتبوؤها هذا الرأسمال الرمزي الممثل بالثقافة – الحضارة.
- مما لاشك فيه إن الفواصل تتجه نحو التآكل وتصبح تدريجيا أقل حدة في المجالات والحقول التي تتقدم فيها العولمة، وبخاصة في مجالات الاقتصاد والسياسة ثم في وقائع الثقافة والقيم . إن ما يزيد من فعالية الثقافة المعولمة هو تراجع معدلات القراءة حيث أصبح التليفزيون والانترنت منافسين جديدين للمؤسسة التربوية ، علاوة على إن التبادل الثقافي الحالي هو تبادل غير متكافئ بين ثقافات متقدمة تمتلك إمكانيات واسعة وثقافات تقليدية ، وبذلك يكون الحاصل غزوا وتبعية ثقافية .

- يمثل التحالف بين الثقافة والتقانة ذروة القدرات التي تقدمها العولمة في الحقل الثقافي ، فهي تمكنت فعلياً من اختراق الحدود الثقافية انطلاقا من مراكز صناعة وترويج النماذج الثقافية ذات الطابع الغربي ، وألغت بالتالي إمكانيات التثاقف كخيار يعني الانفتاح الطوعي على المنظومات الثقافية المختلفة عبر آليات التأثر والتأثير والتفاعل المتبادل لصالح الاستباحة الكاملة للفضاء الثقافي الذي يعزز قيم الغالب ويؤدي إلى تبعية المغلوب وبالتالي لا تترك أمامه من خيارات خارج حدود الانعزال أو الذوبان سوى هوامش محدودة في مواجهة تكنولوجيا الإخضاع .
- إن العولمة تحاول أن تفرض على الشعوب إيديولوجيا تحاول من خلالها أن تجعلها تابعة للغرب مما يبعدها عن ثقافتها الخاصة.
- لقد غدت الشركات المتنافسة على السوق لا تبيع المنتجات بل الرموز ، بحيث لم تعد المنافسة قائمة على أساس نوعية البضاعة وجودتها بل أضحت المسألة فيما يتعلق بالحرب التجارية على مستوى الكرة الأرضية مرتبطة بالصورة والانتماء الرمزي .
- لقد أصبح الشباب في كثير من دول العالم الثالث يقتنون الأحذية الأمريكية ويرتادون مطاعم " ماكدونالد " بغض النظر عن السعر فهذا يمنحهم الشعور بالانتماء إلى الغرب ، وهم بذلك يعبرون أمام الأقرباء والغرباء عن اندماجهم وهمياً ضمن جماعة أو فئة أرقي من فئات مجتمعاتهم . وهكذا يصبح اقتناء البضاعة انتماءاً وهمياً لهويات رمزية تفوق على القيمة بحد ذاتها .
- ونظراً إلى الأهمية التي تتبؤاها ثقافة الصورة والبث المتلفز ، فان المشروع الثقافي الغربي قد أصبح يجذب الانتباه عبر تكنولوجيا الإثارة والتشويق .
- لقد بات التليفزيون المؤسسة الثقافية الأفعل في عالم اليوم وتراجعت أمامه مراكز البحث والجامعات ودور النشر والصحف وكل الترسانة الثقافية التقليدية . وبسبب كثافة وخطورة الاختراق الثقافي الذي يتعرض له نسق القيم ونظام إنتاج الرموز في المجتمع العربي فان مؤسسات الاجتماع ولثقافة التقليدية وهما الأسرة والمدرسة لم تعودا قادرتين وفق صيغ أدائها الحالية على حماية الأمن الثقافي للمجتمع والإيفاء بحاجات أفراده من القيم والرموز والمعايير والمرجعيات التي أصبحت تصاغ خارج حدود الثقافة الوطنية .
- الإعلام الحديث أصبح أكثر ثراءاً وتعقيداً ، والمشكلة الأعمق هي قابلية الإعلام والاتصال الشديدة للاحتكار وهو ما يظهر بوضوح في الخريطة الإعلامية العالمية . وكالعادة لا بد أن يجر الاحتكار ورائه تؤامه الاقتصادي وهو الاندماج الرأسمالي .
- فمع ظهور الانترنت أدركت القوى الرأسمالية المغزى الاقتصادي للمعلومات ، فاندفعت بصورة غير مسبوقة في موجة الاندماج وتركيز رأس المال ، وهدفت من وراء ثنائية الاندماج والاحتكار إلى إحكام السيطرة الكاملة عالمياً على صناعة المعلومات بعناصرها الثلاثة : « محتوى المعلومات » و « معالجة المعلومات » و« توزيع المعلومات » .
- علاقة الإعلام بالثقافة إذن علاقة بنيوية ، وكثيرا ما يتدخلان ، فالإعلام هو الجانب التطبيقي المباشر للفكر الثقافي السائد ، وذلك ما دفع « هبرماس » إلى اتهام التليفزيون بإفساد ساحة الرأي العام .

المحاضرة الحادية عشر : عالم متغير

❖ ماهية العولمة :

- يستخدم علماء الاجتماع مصطلح العولمة للدلالة على تلك العمليات التي تضفي الزخم والكثافة على العلاقات الاجتماعية المتبادلة المتداخلة .
- وقد غدت العولمة ظاهرة اجتماعية بالغة الاتساع وعظيمة الأثر في منطوياتها وتداعياتها .
- والعولمة لا تقتصر على تطور وتنامي الشبكات والنظم الاجتماعية والاقتصادية بمنآي عن اهتماماتنا المباشرة ، إنها في الوقت نفسه ظاهرة محلية تؤثر فينا جميعا وفي حياتنا اليومية .
- ففي عالم اليوم توجد واقعة قائمة على اتساع الكرة الأرضية كلها وعلى امتداد تاريخي معين أسمها « العولمة » .
- وتوجد مجموعة كبيرة من المصطلحات والمفاهيم تستخدم للإشارة إلى هذه الواقعة مثل : « الاقتصاد العالمي ، نظام المركز والأطراف ، السوق الدولية ، الامبريالية العالمية » وغيرها . وعلى الرغم من إن هذه المصطلحات تشير كلها إلى الواقعة ذاتها « العولمة » فان من شأن كل مصطلح من هذه المصطلحات أن يبرز جانبا معينا من جوانبها .

❖ أبعاد العولمة :

- كثيراً ما يجري النظر إلى العولمة باعتبارها ظاهرة اقتصادية . ويكثر في هذا المجال إبراز الدور الذي تؤديه الشركات العابرة للقوميات التي تمتد عملياتها الضخمة وتتجاوز حدود البلدان والدول مما يترك أثره في عمليات الإنتاج العالمية وتوسيع العمالة والاستخدام في العالم .
- ورغم ان القوى الاقتصادية تمثل جزءاً لا يتجزأ من العولمة ، فان من الخطأ الافتراض بأن هذه القوى قادرة بمفردها على توجيه هذه العملية . فقد نجمت العولمة عن تضافر مجموعة من العوامل السياسية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية . وأعطت التطورات الجديدة في مجال تقانة المعلومات والاتصالات زخماً جديداً لمسيرة العولمة ، إذ إنها كثفت التفاعل بين الناس ووسعت مجالاته وعجلت به في مختلف أنحاء العالم .

❖ الجدل حول العولمة :

- أصبحت العولمة مثاراً لجدل ومناقشات بين الباحثين ، ويرى البعض أن المناقشات التي دارت حول قضية العولمة تنازعتها ثلاث مدارس فكرية : « المشككون » ، « المتعولمون » ، « التحوليون » . وسوف نعرض بإيجاز لوجهة نظر كل منها :

١) المشككون" :

- يرى بعض المفكرين أن العولمة قد لقيت أكثر مما تستحقه من الأهمية والتقدير ، وأن الجدل عن العولمة قد احتدم حول موضوع لا جديد فيه . ويعتقد « المشككون » أن المستويات الراهنة من الاعتماد الاقتصادي المتبادل ليست جديدة ، ويشير هؤلاء إلى إحصائيات القرن التاسع عشر حول التجارة والاستثمارات العالمية ، ويعربون عن اعتقادهم بأن توجهات العولمة الحديثة لا تختلف عن سابقتها إلا من حيث كثافة التفاعل بين الدول . ويوافق « المشككون » على أن التماس بين الدول قد أصبح أكثر كثافة مما كان في الماضي ، غير أن الاقتصاد العالمي الراهن في نظرهم لم يبلغ درجة كافية من الاندماج والتكامل ليكون اقتصادا عالميا حقيقيا .

- ويؤكد كثير من « المشككين » على طابع الأقلمة في العمليات الجارية في الاقتصاد العالمي ، ويتجلى ذلك في ظهور التكتلات المالية والتجارية الرئيسية .
- ويرفض « المشككون » وجهة النظر التي يطرحها « المتعولمون » بأن العولمة تقوض دور الحكومات الوطنية بصورة أساسية ، وتنتج عالما يهمش فيه دور هذه الحكومات . وبالنسبة إلى « المشككين » فان الحكومات مازالت وستبقى الفاعل الرئيسي لأنها تتولى تنظيم النشاط الاقتصادي وتنسيقه .

٢) المتعولمون :

- يتخذ « المتعولمون » موقفا معارضا لموقف « المشككين » ، إذ يرون العولمة ظاهرة حقيقية نتلمس أثارها في كل مكان ، أنها عملية لا تأبه بحدود الدول، كما أنها تولد نظاما عالميا جديدا تكتسحه تيارات التجارة والإنتاج العابرة للحدود .
- يتركز أغلب التحليلات التي يطرحها « المتعولمون »حول تغير الدور الذي تقوم به الدولة ، فلم تعد الدولة المفردة قادرة على السيطرة على اقتصادياتها بسبب التوسع الهائل في التجارة العالمية . كما أن الحكومات الوطنية والأوساط السياسية فيها عاجزة عن التحكم في القضايا التي تبرز خارج حدودها .
- وبعد أخذ هذه الحجج جميعها في الاعتبار ، يرى « المتعولمون » أن فجر أو " عصر العولمة " قد بزغ ، فيما أخذت أهمية الحكومات الوطنية وقدرتها على التأثير بالضمور والتناقص .

٣) التحوليون :

- يتبنى « التحوليون » موقفا وسطا بين المدرستين السابقتين ، إذ يرون أن العولمة تمثل القوة الرئيسية الكامنة وراء طيف واسع من التغيرات التي تقوم بتشكيل المجتمعات الحديثة . وبالنسبة لهم ، فان النظام العالمي يجتاز مرحلة من التحول ، غير أن كثيرا من الأنماط القديمة ظلت على حالها .
- وعلى عكس « المتعولمون » يرى « التحوليون » في العولمة عملية دينامية مفتوحة تتعرض هي بدورها للتأثر والتغير . ويرون أن الدولة لم تفقد سيادتها ، بل إنها استعاضت عن ذلك بإعادة هيكلة نفسها من خلال أشكال جديدة من التنظيم الاقتصادي والاجتماعي لا ترتكز إلى مساحات جغرافية محدودة (مثل : المؤسسات الكبرى والحركات الاجتماعية والهيئات الدولية) .
- ويرى « التحوليون » أننا لم نعد نعيش في عالم تتخذ الدول من نفسها مركزا له ، إذ تضطر الحكومات إلى تبني مواقف أكثر انفتاحا وفاعلية تجاه مسألة الحكم في ظل شروط العولمة الأكثر تعقيداً .

☒ فأي هذه المدارس والآراء أقرب إلى الصواب ؟

- ربما كان « التحوليون » هم الأكثر اعتدالاً .
- « فالمشككون » يجانبون الصواب لأنهم يميلون إلى التقليل من أهمية التغيرات التي تكتنف العالم .
- أما « المتعولمون » في الطرف الأخر فأنهم يرون العولمة من زاوية اقتصادية باعتبارها عملية تسلك مسارا وحيد الاتجاه ، في حين أنها في واقع الأمر أعقد من ذلك بكثير .

المحاضرة الثانية عشر : العوامل المساهمة في العولمة وأسباب تزايدها

❖ العوامل المساهمة في العولمة :

- أسهم التقدم التقني ونمو البنية التحتية للاتصالات في العالم في توسع نطاق التواصل العالمي وشهد نصف القرن الماضي تحولاً عميقاً في كثافة تدفق الاتصالات ومجالاتها المختلفة .
- لقد تركت نظم الاتصال أثاراً مذهلة في طبيعتها وأهميتها وتداعياتها . ففي الدول التي وصلت فيها البنية التحتية للاتصالات مرحلة متقدمة ، تستعمل المنازل والمكاتب شبكة متعددة الوصلات مع العالم الخارجي بما فيها الهواتف الأرضية والمحمولة وأجهزة الفاكس وأجهزة التلفاز الرقمية والعادية والبريد الالكتروني والانترنت . وبرزت « شبكة الانترنت » باعتبارها أسرع ما تم اختراعه حتى الآن من وسائل اتصال .
- إن أشكال التقنية الحديثة هذه قد يسرت ضغط واختزال الزمان والمكان بحيث أصبح بمقدور شخصين على سبيل المثال في طوكيو ولندن أن يتحادثا ويتبادلا الوثائق والمعلومات في لحظة واحدة باستخدام تطبيقات مختلفة من تقانة المعلومات . كما أدى انتشار استخدام الانترنت والهواتف المحمولة إلى تسارع عملية العولمة وتعميقها .
- دفع التكامل الاقتصادي العالمي بعملية العولمة قدما إلى الأمام . وخلافاً للمراحل السابقة لم يعد الاقتصاد العالمي يعتمد بصورة أساسية على الزراعة أو الصناعة ، وأخذ بدلاً من ذلك يعتمد بصورة جوهرية على ما يسمى بالنشاط " الخفيف " أو غير الملموس . والمادة الأساسية لهذا النشاط الذي لا وزن له هي المعلومات ، كما هي الحالة في منتجات برمجيات الحاسوب ووسائل الإعلام والترفيه والخدمات التي تعتمد على شبكات الانترنت .
- تعبر صيرورة الاقتصاد العالمي عن التغيرات التي حدثت في عصر المعلوماتية . فأكثر جوانب الاقتصاد اليوم تعمل من خلال شبكات ممتدة تتجاوز حدود الدول والجنسيات ولا تتوقف عندها . وقد أعادت المؤسسات الاقتصادية والشركات هيكلة نفسها للمحافظة على قدرتها التنافسية في ظروف العولمة الراهنة ، فأصبحت أكثر مرونة .

❖ أسباب تزايد العولمة :

١) التغيرات السياسية :

- يقوم عدد من المؤثرات بدور فاعل بدفع عجلة العولمة في عالمنا المعاصر .
- ومن أكثر العوامل تأثيراً في هذا المجال انهيار ما كان يعرف بـ « الاتحاد السوفيتي » الذي رافقته سلسلة من الثورات في أوربا الشرقية . ومنذ ذلك الحين بدأت كيانات أخرى في الكتلة السوفيتية السابقة بالتحول إلى الأنساق الغربية في المجالات السياسية والاقتصادية .
- أما العامل المهم الثاني في نشر العولمة فهو « نمو آليات الحكم الإقليمية والدولية » . وتمثل الأمم المتحدة والاتحاد الأوربي أبرز الأمثلة على المنظمات الدولية التي تجمع منظومة من الدول في إطار سياسي واحد .
- وأخيرا فان عملية العولمة قد اندفعت قدماً إلى الأمام بفعل أنشطة المنظمات الحكومية البينية والمنظمات الوطنية غير الحكومية . والمنظمة الحكومية البينية هي هيئة تشكلها الحكومات المشاركة وتضطلع بمسؤولية التنظيم والإشراف على قطاع محدود من النشاط يتجاوز الحدود القومية .

٢) تدفق المعلومات

- رأينا كيف أدى انتشار تقانة المعلومات إلى الاتساع في إمكانيات الاحتكاك والتواصل بين الشعوب ، كما أنه أدى إلى تسهيل تدفق المعلومات حول الناس والأحداث في أماكن نائية وغداً الأفراد الآن أكثر وعياً وإدراكاً للتواصل المتبادل مع الآخرين ، وأقدر على التعاطف أو المشاركة في القضايا العالمية أكثر من أي وقت مضى .
- يشتمل الانتقال من النظرة المحدودة نسبياً إلى الأفاق الأوسع على بعدين رئيسيين مهمين :
  - **الأول :** هو أن الناس باعتبارهم أفرادا في الجماعة العالمية قد أخذوا يدركون بصورة متزايدة أن المسؤولية الاجتماعية لا تقف عند حدود بلدانهم بل تتجاوزها إلى أطراف أخرى من العالم .
  - **أما البعد الثاني :** فيتمثل في إن النظرة العالمية تعني تزايد المساعي لتشكيل هوياتهم عبر مصادر أخرى غير تلك المتوافرة في أوطانهم .

٣) الشركات العابرة للقوميات :

- من بين العوامل الاقتصادية التي تحفز عمليات العولمة ، تكتسب الشركات العابرة للقوميات أهمية خاصة .
- وهذه الشركات هي : مؤسسات تنتج السلع أو خدمات السوق في أكثر من بلد وتمثل أحد العناصر الجوهرية في صلب عملية العولمة الاقتصادية : إنها تمثل ثلثي التجارة الدولية ، كما أنها تلعب دوراً مهما في نشر التقانة الجديدة حول العالم .
- لقد أصبحت الشركات العابرة للقوميات ظاهرة عالمية في أعقاب الحرب العالمية الثانية ، وبدأت الشركات الأمريكية بالتوسع بعد الحرب وتلتها في السبعينات من القرن الماضي عملية التوسع في الاستثمارات الخارجية للشركات الأوربية واليابانية .
- وفي الثمانينيات والتسعينات شهدت هذه الشركات العملاقة توسعاً مثيرا بظهور ثلاث شبكات ضخمة من الأسواق الإقليمية :
  - « السوق الأوربية المشتركة » ، « إعلان أوساكا بضمان التجارة الحرة المفتوحة بحلول عام ٢٠١٠م في أسيا والمحيط الهادي » ، « اتفاقية نافتا للتجارة الحرة في أمريكا الشمالية » .
- ويمثل الاقتصاد الالكتروني عاملاً مهماً أخر في العولمة الاقتصادية . فقد أصبح بوسع البنوك والمؤسسات الكبرى ومديري القطاعات المالية والمستثمرين أن يحركوا وينقلوا الأرصدة المالية الضخمة عبر العالم بضغطة زر واحدة .
- إن العوامل السياسية والاقتصادية والاجتماعية والتقنية التي تم عرضها أنفاً تتضافر لتنتج هذه الظاهرة " العولمة " التي لا مثيل لكثافتها واتساع نطاقها . وقد أسفرت ظاهرة العولمة حتى الآن عن كثير من النتائج التي سنتعرض لبعضها في محاضرة قادمة .

- تقانة : يعني تقنية ☺

المحاضرة الثالثة عشر : أثار العولمة في حياتنا

❖ أثار العولمة في حياتنا :

- تتغلغل أثار العولمة بقوة في حياتنا الخاصة ، فالعولمة ليست عملية تجري في كوكب أخر بعيد عنا ولا صلة لنا به . وقد دخلت سياق حياتنا الاقتصادية والثقافية والاجتماعية من خلال مصادر غير رسمية في كثير من الأحيان مثل وسائل الإعلام والثقافة الشعبية والتواصل الفردي مع أشخاص آخرين من ثقافات وبلدان أخرى . ومن أبرز أثار العولمة في حياتنا ما يلي :

٤) بزوغ النزعة الفردية :

- لقد أصبح الأفراد في عصرنا هذا أكثر قدرة على تغيير مسارات وخيارات حياتهم . لقد كانت العادات والتقاليد في الماضي تمارس تأثيراً قوياً على مسالك الناس وأساليب حياتهم ، غير أننا في ظروف العولمة الراهنة نشهد تصاعد النزعة الفردية التي تتيح للناس الإسهام بدور أكبر في تكوين أنفسهم وبناء هوياتهم الخاصة . وقد أخذت وطأة التقاليد والقيم الراسخة بالانحسار بعد تزايد التفاعل بين الجماعات في إطار نظام عالمي جديد . كما تناقص وزن " الرموز الاجتماعية " التي كانت تحدد الملامح الرئيسية لخيارات الناس وأنشطتهم .

٥) أنماط العمل :

- لقد أطلقت العولمة تحولات عميقة في عالم العمل . فقد تركت أنماط التجارة العالمية وأساليب الانتقال إلى اقتصاد المعرفة أثارا بالغة على أنماط الاستخدام والعمالة . إن كثيرا من الصناعات التقليدية قد تقادمت بعد التطورات التقنية . وقد أثرت التجارة العالمية وأشكال التقانة الجديدة في تجمعات التصنيع التقليدية حيث لحقت البطالة بالعمال الصناعيين الذين لا يمتلكون المهارات الجديدة التي تؤهلهم لدخول عالم الاقتصاد القائم على المعرفة . وقد أدت العولمة الاقتصادية في كثير من بقاع العالم إلى تزايد البطالة وارتفاع معدلات الجريمة والانحراف .
- وفيما كان العديد من الناس في الماضي يقضون حياتهم العملية مع مستخدم أو صاحب عمل واحد خلال عقود من حياتهم فيما يسمى أحيانا " مهنة العمر" فقد تصاعدت هذه الأيام نسبة الأفراد الذين يختارون ويبدلون خياراتهم العملية ، وربما تضمن ذلك تغيير المهنة أو اكتساب مهارات وقدرات جديدة ، كما تفككت أنماط العمل المتفرغة النموذجية وتحولت إلى ترتيبات أكثر مرونة من بينها : العمل في المنزل باستخدام تقنيات المعلومات المستجدة ، والمشاركة في أداء العمل في مهنة ما ، ومشروعات الاستثمار القصيرة الأمد وإتباع نظام " الوقت المرن " في العمل وما إلى ذلك .. ودخلت النساء سوق العمل بأعداد كبيرة مما أحدث تغيرات بالغة في حياة الناس من كل من الجنسين. كما إن اتساع الفرص المهنية والتعليمية أمام النساء قد دعا أعداد كبيرة منهن إلى إرجاء الزواج وإنجاب الأطفال إلى ما بعد استقرارهن على مسار علمي أو مهني .

٦) الثقافة الشعبية :

- أصبحت الآثار الثقافية للعولمة في الآونة الأخيرة مدعاة للاهتمام والدراسة ، فلقد أخذت الصور والأفكار والسلع والأساليب الجديدة تنتشر في أنحاء العالم بصورة أسرع من ذي قبل .
- وأسهمت عمليات التبادل التجاري وتقانات المعلومات الجديدة ووسائل الاتصال والإعلام العالمية في انتقال الثقافات عبر الحدود الوطنية للدول والشعوب.

- ويتحدث بعض الباحثين في هذه الآونة عما يسمونه " الامبريالية " التي بدأت فيها القيم والأساليب والآراء في العالم الغربي تغزو الثقافات الوطنية والشخصية القائمة لدي الشعوب الاخرى وتتغلغل فيها وربما تهيمن على عناصر أساسية فيها .

٧) انتشار المخاطر المصنعة :

- يواجه البشر في العادة أنواعا من المخاطر ، غير أن ما يواجههم اليوم يختلف نوعياً عما صادفوه في الماضي .
- لقد تعرضت المجتمعات الإنسانية إلى عهد قريب إلى المخاطر الخارجية مثل : الجدب والزلازل والمجاعات والعواصف ... وكلها ناجمة عن العوامل الطبيعية ، غير إننا نواجه اليوم أنواعاً جديدة ومتزايدة من المخاطر المصنعة ، أي مصادر الخطر الناجمة عما لدينا من معرفة وتقانة وأثر الجمع بين هذين العنصرين على عالم الطبيعة حولنا . وتعتبر أكثر المخاطر البيئية والصحية التي تتعرض لها المجتمعات المعاصرة من أبرز الأمثلة على المخاطر المصنعة الناجمة عن تدخل البشر في الطبيعة .

٨) المخاطر البيئية :

- وهي تتجلى في المخاطر التي تطرحها البيئة الطبيعية . فقد كان من نتائج التسارع في التنمية الصناعية والتقنية أن تزايد التدخل البشري في الطبيعة ، ولم تبق سوى جوانب قليلة من الطبيعة لم يمسها التدخل البشري الذي أشتمل حتى الآن على مجالات النمو الحضري والإنتاج والتلوث الصناعي والمشروعات الزراعية الضخمة وبناء السدود وبرامج تطوير الطاقة النووية .
- إن المخاطر الايكولوجية البيئية تواجهنا في عالمنا المعاصر بصور مختلفة ، ونظراً للغموض الذي يحيط بأسبابها فأنه لم تتضح حتى الآن أفضل السبل لمعالجتها ، ولم تتحدد المسؤولية للقيام بإجراء واضح لتحاشيها أو الحد منها .

٩) المخاطر الصحية :

- هناك أمثلة على المخاطر الصحية منها ما يشير إلى إن تعرض الجلد لأشعة الشمس المستمرة قد يرتبط بأنواع معينة من السرطان ، وتأثرت وسائل الزراعة وأساليب إنتاج الأغذية الحديثة تأثرا كبيراً بالتقدم الذي حققه العلم والتقانة وأدى ذلك إلى تزايد استعمال المواد الكيميائية المبيدة للحشرات وللأعشاب الضارة في الإنتاج الزراعي التجاري وفي مجال تربية الحيوانات التي أصبحت بدورها تحقن بالهرمونات والمضادات الحيوية . ويرى البعض أن أساليب الزراعة هذه قد تلحق الضرر بسلامة الأغذية وتترك أثارا سيئة على صحة البشر .

١٠) مجتمع المخاطرة العالمي

- إن ظاهرة الاحتباس الحراري وانتشار أمراض من نوع جنون البقر والجدل القائم الآن حول الزراعة المعدلة جينياً قد بدأت تطرح كلها مجموعة من الخيارات والتحديات الجديدة أمام الناس . وبدأ الأفراد والجماعات والمؤسسات المتعددة الجنسية تتخذ سلسلة من المبادرات والحملات الفردية والجماعية لمواجهة مثل هذه المخاطر المحتملة .
- ويعتقد عالم الاجتماع الألماني « أولريخ بك » الذي كتب كثيراً عن المخاطر والعولمة ، أن هذه الأخطار جميعها قد أسهمت في إقامة ما يسميه " مجتمع المخاطرة العالمي" . إن التغير التقاني في تقدمه المتسارع يجلب معه أنواعا جديدة من المخاطر التي ينبغي على الإنسان أن يواجهها أو يتكيف معها . ولا يقتصر مجتمع المخاطرة في رأيه على الجانبين البيئي والصحي فحسب بل يشتمل كذلك على سلسلة من التغيرات المترابطة المتداخلة في حياتنا الاجتماعية المعاصرة .

المحاضرة الرابعة عشر : الحملة من أجل العولمة العادلة

❖ العولمة واللامساواة :

- تنتهج العولمة طريقاً لا توازن فيه ولا إنصاف . فأثارها تتفاوت في وقعها على الشعوب والمجتمعات كما أن نتائجها لا تكون حميدة على التجمعات البشرية التي تصيبها .

❖ اللامساواة وتقسيم العالم :

- يتركز الجانب الأكبر من ثروة العالم في هذه الأيام في الدول الصناعية أو الدول المتقدمة النمو ، بينما تتسم الدول النامية والأقل نموا بمستويات متفاوتة ولكنها عالية من الفقر والانفجار السكاني وتعاظم الدين الخارجي ، وبتردي مستويات التعليم والرعاية الصحية . وقد اتسعت الفجوة بين الدول المتقدمة من جهة والنامية من جهة أخرى طيلة القرن العشرين ، وبلغت أوجها في مطلع القرن الحادي والعشرين .
- إن تقرير التنمية البشرية للعام ١٩٩٩م الصادر عن الأمم المتحدة كشف النقاب عن ان متوسط الدخل لدى خمس سكان العالم الذين يعيشون في البلدان الأكثر ثراء يزيد ٧٤ ضعف عن معدل الدخل لخمس السكان الذين يعيشون في البلدان الأفقر .

❖ الحملة من أجل العولمة العادلة :

- منذ أواخر عام ١٩٩٩م بدأ المعارضون للعولمة احتجاجاتهم وحملاتهم العنيفة وعلى نطاق عالمي ضد سياسات العولمة . ففي ذلك الوقت انعقد مؤتمر عالمي في مدينة "سياتل" بولاية واشنطن لمناقشة الموضوعات المطروحة على جدول أعمال ما يسمى بجولة الألفية الثالثة لمنظمة التجارة العالمية . وتجمهر في ذلك الوقت عشرات الآلاف من المحتجين لعدة أيام للإعراب عن معارضتهم لسياسة العولمة باعتبارها استغلالاً ونهباً لما تبقى من موارد العالم الثالث والمجتمعات النامية . وتوالت مظاهر الاحتجاج العالمية هذه في الاجتماعات اللاحقة لمنظمة التجارة العالمية .
- ويرى المعترضون أن منظمة التجارة العالمية مؤسسة غير ديمقراطية تهيمن عليها وتسيرها الدول الأغنى في العالم وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية .
- ومن الانتقادات الأخرى الموجهة لمنظمة التجارة العالمية أنها تقوم بأنشطتها وعملياتها بصورة شبه سرية .
- الجدير بالذكر أن الدول الصناعية تمتلك ٩٧% من العلامات التجارية وبراءات الاختراع في العالم بينما يعتبر مفهوم حقوق الملكية هذا غريبا عن العالم النامي .
- ويرى معارضو منظمة التجارة العالمية ومؤسسات دولية أخرى مثل البنك الدولي وصندوق النقد الدولي أن الإصرار على مسألة التكامل والاندماج الاقتصادي وحرية التجارة يرغم الشعوب على العيش في "اقتصادات" لا في "مجتمعات" .
- الحاجة إلى منظمات عالمية أكثر عدلاً في الوقت الذي تمضي فيه عملية العولمة قدما إلى الأمام ، تبدو البني والنماذج السياسية القائمة على المستوى الدولي عاجزة وغير مؤهلة لتدبير شئون عالمنا المعاصر الحافل بالمخاطر وأنواع اللامساواة والتحديات التي تتجاوز الحدود القومية ، ولذلك يدعو البعض من الباحثين والمفكرين إلى قيام شكل جديد من الحكم العالمي يستطيع مواجهة المشكلات العالمية على الصعيد العالمي .

- ولقد تم اتخاذ بعض الخطوات في هذا الاتجاه في الماضي القريب منها قيام منظمة الأمم المتحدة والاتحاد الأوربي ، وقد تحذو حذوه تجمعات مشابهة في مناطق أخرى في العالم.
- لقد تميز العقد الماضي منذ نهاية الحرب الباردة بالعنف والصراع الداخلي والتحولات الفوضوية في كثير من بقاع العالم . وفيما يغلب طابع التشاؤم على بعض الاتجاهات والتوجهات في عالمنا المعاصر ، فان وجهات نظر أخرى تتلمح في المستقبل المنظور فرصا حيوية لكبح قوى العولمة الجارفة سعياً وراء المزيد من المساواة والديمقراطية والازدهار .

❖ **نقاط موجزة :**

١) تمثل العولمة واحدة من أهم وأبرز الظواهر الاجتماعية التي يعني بها علماء الاجتماع المعاصرون – وتتجسد ظاهرة العولمة في تكاثف العلاقات الاجتماعية وتداخل اعتماد بعضها على بعض بين مختلف أرجاء العالم .

٢) تصور العولمة في أغلب الأحيان باعتبارها ظاهرة اقتصادية غير أن وجهة النظر هذه تميل إلى المغالاة في التبسط ، فالعولمة هي المحصلة النهائية لتضافر العوامل السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية .

٣) أسهمت عدة عوامل في زيادة العولمة ومنها نهاية الحرب الباردة وانهيار الشيوعية السوفياتية وتنامي أشكال من الحكم ربطت منظومات من الدول بعضها ببعض على الصعيدين الإقليمي والدولي .

٤) أصبحت العولمة محورا لمناقشات حامية الوطيس في عالم اليوم .

٥) لا تقتصر العولمة على الأنساق العالمية الكبرى ، بل تمتد أثارها إلى حياتنا الشخصية وإلى الطريقة التي نتصور بها أنفسنا وأنماط ارتباطنا بالآخرين .

٦) تمثل العولمة عملية مفتوحة ومتناقضة بحد ذاتها ، إذ أنها تنتج مخرجات من النوع الذي تصعب السيطرة عليه أو حتى مجرد التكهن به .

٧) تتسارع العولمة بصورة مطردة ولكنها غير متوازنة أو منصفة . لقد تميزت العولمة باتساع الشقة بين البلدان الأغنى والأفقر في العالم.

٨) تناقصت خلال العقود القليلة الماضية حواجز التجارة الدولية وأخذ كثيرون يميلون إلى الاعتقاد بأن التجارة الحرة والأسواق المفتوحة ستمكن البلدان النامية من مزيد من التكامل والاندماج في الاقتصاد العالمي .

٩) تفضي العولمة إلى المخاطر والتحديات ووجوه من الإجحاف وانعدام المساواة تتجاوز الحدود القومية .

❤ تم بحمد الله ❤